PAPER DETAILS

TITLE: ?????? ????? ???????? ?? ?????? ??????: ????? ???????

AUTHORS: Süleyman AYDIN

PAGES: 131-173

ORIGINAL PDF URL: https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/2018752

Universal Journal of Theology

e-ISSN: 1304-6535
Cilt/Volume: 6, Sayı/Issue: 2, Yıl/Year: 2021 (Aralık/December)

Kur'ân-ı Kerim'de Haber ve İnşâ Üslûbu

دلالات الخبر والإنشاء في القرآن الكريم: دراسة تحليلية

The meaning of Reporting and Informing in Qur'an, An Analytic Study

Süleyman AYDIN
Doç. Dr., Yalova Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi,
Tefsir Anabilim Dalı
Assoc. Dr., Yalova University, Faculty of Islamic Sciences,
Department of Tafsir, Yalova/Turkey
slaydinn@gmail.com
http://orcid.org/ 0000-0001-8958-9437

Makale Bilgisi – Article Information
Makale Türü/Article Type: Araştırma Makalesi/ Research Article
Geliş Tarihi/Date Received: 09/10/2021
Kabul Tarihi/Date Accepted: 31/12/2021
Yayın Tarihi/Date Published: 31/12/2021

Atıf/Citation: Aydın, Süleyman. "Kur'ân-ı Kerim'de Haber ve İnşâ Üslûbu". Universal Journal of Theology 6/2 (2021): 131-173.

دلالات الخبر والإنشاء في القرآن الكريم: دراسة تحليلية

الملخص

هذا البحث يمكّن القارئ من معرفة بعض أساليب القرآن وما فيها من المعاني المرادة الحقيقيةأو المجازية والفوارق اللغوية والاصطلاحية والأسرار والحكم، فأثبت فيه ما ذكر تحت الخبر والإنشاء من ماهيتهما وأقسامهما ودلالاتهما ومعانيهما في صورة قواعد بتحقيقات مبثوثة في كتب من سبقنا وبما فتح الله علينا.

الكلمات المفتاحية: الخبر، الإنشاء، القواعد، الأساليب، الفروق اللغوية.

Kur'ân-ı Kerim'de Haber ve İnşâ Üslûbu

Özet:

Bu araştırma, okuyucunun Kuran'ın bazı uslüp ve yöntemlerini ve bunların içerisinde murad olunan gerçek veya mecazi anlamları, dilsel ve deyimsel farklılıkları, sırları ve hikmetleri bilmesini sağlar. Bu araştırmamızda Haber ve İnşa konuları altında zikredilen mahiyetlerine kısımlarına ve delalet ettikleri anlamlara dair bilgileri kurallar biçiminde bizden önce gelenlerin kitaplarında serpilmiş olan tahkikli bilgiler ve Allah'ın bize öğrettiği bilgiler eşliğinde tespit ettik.
Anahtar Kelimeler: Haber, İnşa, Üslûb, Lügat, Gramer.

The meaning of Reporting and Informing in Qur'an, An Analytic Study

Abstract

This research enables the reader to acknowledge some of the styles and methods of The Qur'an, it's real and metaphorical meanings, it's linguistic and idiomatic differences, and it's significances and intellects. This study is to prove what was mentioned whether reporting (Khabar) or informing (In'sha) of their essence, divisions, connotations and meanings in the form of rules with investigations that had been transmitted in the books of our precedents.
Keywords: Reporting (Khabar), Informing (In'sha), Rules, Methods, Linguistic Differences..

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتاباً فيه خبر ما قبلنا وخبر ما بعدنا وفيه إنشاؤنا بالنواهي والأوامر وفيه إعجاز الفصحاء والبلغاء بأساليبه الخبرية والإنشائية، والصلاة والسلام على نبيه الذي نبأه وجعله النبأ العظيم وأمرنا بأخذ ما أمر وترك ما نهى وتصديق ما أخبر، وعلى آله وصحبه الأخيار الذين رزقوا إدراك ما في أساليب كتاب ربهم من أسرار وحكم، وعلى من اهتدى بهديهم وسار على نهجهم إلى يوم النبأ والدين.

أما بعد: فهذا البحث في شرح القواعد التي تتعلق بالخبر والإنشاء في القرآن الكريم والتي استخلصناها من كتب أصول العلوم القرآنية والتفسيرية والفقهية والحديثية واللغوية والعقلية، وهو من أهم مباحث علوم القرآن وأصول التفسير، فأردتُ أن أكتب فيها على منهج البحث العلمي الأصيل المؤصل في بحث لا يخلو من إضافة جديد أو جمع متفرق من صحيح وتحقيق ما كتبه فيه الأولون من علمائنا الكرام والباحثين أو شرح مغلق أو تصحيح قول أخطأ فيه قائله أو ناقله أو اختصار طويل أو إتمام ناقص أو ترتيب مختلط. فكتبتها رجاء أن يُنتفع بها، فرتبتها على تقديم ومقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما التقديم فقد جعلته على خطبة البحث ومحتوياته.

وأما المقدمة: ففي بعض مبادئ علم الخبر والإنشاء. وفيها مسألتان.

المسألة الأولى: شرح القاعدة التي في معنى الخبر والإنشاء لغةً واصطلاحاً.

المسألة الثانية: شرح القاعدة التي في بيان فضل هذا العلم وأهميته.

وأما المبحث الأول: ففي بيان أقسام الكلام ومعاني الخبر ودلالاته والمعنى المقصود منه.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أَقسام الكلام وأَنواعه.

المطلب الثاني: المعنى المقصود بالخبر.

المطلب الثالث: بيان ورود الخبر على المعاني المجازية، وفيه سبع مسائل:

المسألة الأولى: في إفادة الخبر معنى الأمر.

المسألة الثانية: في إفادة الخبر معنى النهي.

المسألة الثالثة: في إفادة الخبر معنى اللوم.

المسألة الرابعة: في إفادة الخبر معنى الوعد.

المسألة الخامسة: في إفادة الخبر معنى الوعيد.

المسألة السادسة: في إفادة الخبر معنى التلطف.

المسألة السابعة: في إفادة الخبر معنى التحسر.

وأما المبحث الثاني: ففي أقسام الإنشاء ودلالاته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإنشاء غير الطلبي، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: كون "نعم" إنشاء غير طلبي يفيد المدح.

المسألة الثانية: كون "بئس" إنشاء غير طلبي يفيد الذم.

المسألة الثالثة: الرجاء.

المسألة الرابعة: صيغ العقود.

المسألة الخامسة: كون "ما أفعل وأفعل به" إنشاء غير طلبي يفيد التعجب.

المسألة السادسة: كون "القسم" إنشاء غير طلبي يفيد التأكيد.

المسألة السابعة: كون "الشرط" إنشاء غير طلبي يفيد العلاقة السببية أو التلازمية بين شيئين.

المطلب الثاني: الإنشاء الطلبي (التمني والأمر والنهي والاستفهام والنداء)، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: المعنى الحقيقي للأمر.

المسألة الثانية: المعاني المجازية للأمر.

المسألة الثالثة: المعنى الحقيقي للنهي

المسألة الرابعة: المعاني المجازية للنهي.

المسألة الخامسة: المعاني الحقيقية والمجازية للاستفهام وإنشائيته.

المسألة السادسة: المعاني الحقيقية والمجازية للتَمني وإنشائيته.

المسألة السابعة: المعاني الحقيقية والمجازية للتَرجي وإنشائيته.

المسألة الثامنة: المعاني الحقيقية والمجازية للنداء وإنشائيته.

وأما **الخاتمة**: فقد جعلتها على أهم النتائج والتوصيات والفهارس

المقدمة

بعض مبادئ علم الخبر والإنشاء

وفيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: شرح القاعدة التي في معنى الخبر والإنشاء لغةً واصطلاحاً.

القاعدة الأولى: الخبر لغةً: هو الإعلام والاستجلاء. واصطلاحاً: هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته بغض النظر عن قائله. الإنشاء لغة: الإيجاد والتكوين. واصطلاحاً: هو قسيم الخبر أي هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته.

الشرح:

الخبرُ لغةً: هو الإعلام والاستجلاء بما يُنقَلُ ويُحدَّث به قولاً أَو كتِابةً أَو إشارةً،[1] ومعانيه تدور حول اكتساب المعرفة من مصادرها. واصطلاحاً: هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته بغض النظر عن قائله، أو هو ما يمكن أن يوصف قائله بالصادق فيه أو الكاذب، فإذا كان كلامه طبق الواقع وصف بالصادق، وإن كان خالفه عد كاذباً.

أي أن المقصود بصدقِ الخبر هو مُطابقة المخبر للواقعِ ونفسِ الأمر، والمقصود بكذبهِ عدمُ مطابقتهِ له، فمثلاً: «الصدق فضيلة» خبرٌ صدق لأن نسبتُه الكلاميَّةُ أي ثبوتُ الفضيلة المفهومةِ من هذا الكلام موافقة للنسبةِ الخارجيّةِ

[1] انظر: مجمع اللغة العربية بمصر، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية – القاهرة، الطبعة: الرابعة، 1425هـ – 2004م، مادة (خبر)، ص:215.

بمعنى انه يتطابق فيها الخارج والواقع، و«الخيانة فضيلة» خبر كذِب لأن نسبتهُ الكلاميةُ ليستْ مطابقةً للواقعِ[2] ونفسِ الأمر ولا موافقةً للنسبةِ الخارجيةِ.

هذا في خبر غير المعصومين أما خبر الله والمعصومين لا يحتمل إلا الصدق، ثم يختلف خبره تعالى عن خبر المعصومين لأن خبره تعالى عبارة عن إخبار ما انكشف في علمه الأزلي والأبدي وهكذا.

"أما معنى كون الخبر يحتمل الصدق والكذب لذاته فيقول البلاغيون: إن احتمال الخبر للصدق والكذب إنما يكون بالنظر إلى مفهوم الكلام الخبريّ ذاته دون النظر إلى المخبر أو الواقع؛ إذ لو نظرنا عند الحكم على الخبر بالصدق أو الكذب إلى المخبر أو الواقع لوجدنا أن من الأخبار ما هو مقطوع بصدقه لا يحتمل كذباً، وما هو مقطوع بكذبه لا يحتمل صدقاً. فمن الأخبار المقطوع بصحتها، ولا تحتمل الكذب ألبتّة: أخبار الله عز وجل أي كل ما يخبر الله به، وكذلك أخبار رُسله عليهم الصلاة والسلام، ومما يُقطع بصحته من البديهيات المألوفة مثل: السماء فوقنا، والأرض تحتنا، وماء البحر مالح، وماء النهر عذب. ومن الأخبار المقطوع بكذبها، ولا تحتمل الصدق: الأخبار المناقضة للبديهيات نحو: الجزء أكبر من الكل، والأسبوع خمسة أيام. وكذلك الأخبار التي تتضمن حقائق معكوسة نحو: الأمانة رذيلة، والخيانة فضيلة. ولكن هذه الأخبار المقطوع بصحتها، أو المقطوع بكذبها إذا نظرنا إليها ذاتها دون النظر إلى قائلها، أو إلى الواقع كانت محتملة للصدق والكذب شأنها في ذلك شأن سائر الأخبار".[3]

والإنشاء لغة: الإيجاد والتكوين لما يقبلهما من كلام وغيره. ومعانيه تدور حول إيجاد وتكوين من غير سَبْق مثال. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأنعام: 98]، ﴿يُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: 12].

واصطلاحاً: هو قسيم الخبر. أي هو الكلام الذي لا يحتمل صدقا وكذبا لذاته، نحو: اغفر وارحم. أو هو ما لا يصح أن يُوصف المتكلم به: بالصادق أو الكاذب أو لا يُنسب إلى قائله صدق أو كذب،[4] أو "هو الكلام الذي يطلب به أمر لم يكن موجوداً وقت النطق بالكلام".[5] أو هو ما يتوقف تحقق مدلوله على النطق به، أو هو

[2] انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة، 1424هـ -2003م، ص: 446.

[3] عبد العزيز عتيق (ت: 1396هـ)، علم المعاني، دار النهضة العربية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م، ص: 46.

[4] انظر: مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مكتبة لبنان – بيروت، الطبعة: الثانية، 1984م، ص:157.

[5] انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص: 449.

ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به.[6] "أو هو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه. وإلا فإنه يستلزم خبراً يحتمل الصدق والكذب؛ فقول القائل: "يا بني تعلم" يستلزم خبراً هو: أنا طالب منك التعلم، وقول القائل: (لا تتكلم) يستلزم خبراً هو: أنا طالب منك عدم التكلم، وهكذا... ولكن ما تستلزمه الصيغة الإنشائية من الخبر ليس مقصوداً ولا منظوراً إليه. إنما المقصود والمنظور إليه هو ذات الصيغة الإنشائية. وبذلك يكون عدم احتمال الإنشاء للصدق والكذب إنما هو بالنظر إلى ذات الإنشاء".[7]

وينقسم الإنشاء نوعين: طلبي، وغير طلبي.

فالإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، ويكون بصيغ المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب والرجاء، ويكون برُبَّ ولعلَّ، وكم الخبرية.

والإنشاء الطلبي: هو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب –حسب اعتقاد المتكلم –وأنواعه ستة وقيل: خمسة. فطلب حصول الفعل من المخاطب على سبيل الاستعلاء في "افعَلْ" وهو الأمر، وطلب حصول الكف من المخاطب على سبيل الاستعلاء في "لا تفعل" وهو النهي، "وطلب المحبوب في "التمنّي"، وطلب الفهم في "الاستفهام"، وطلب الإقبال في "النداء"؛ كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها".[8]

هذان تعريفان من تعاريف المناطقة وقدماء البلاغيين أما الإنشاء عند اصطلاح البلاغيين المحدثين: فهو كلام يطلب به أمر لم يكن موجوداً وقت النطق بالكلام. أي هو ما ليس له نسبة خارجة وقت النطق بالكلام الإنشائي، يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها. وأما الخبر عندهم: فهو الكلام الذي له نسبة خارجية يراد مطابقتها أو عدم مطابقتها.[9]

فللخبر ثلاث نسب. هي: النسبة الكلامية والنسبة الذهنية والنسبة الخارجية.

فمثلاً: "إذا قال قائل: رأيت الهلال الليلة فلهذه الجملة نسب ثلاث. النسبة الكلامية وهي: الإخبار برؤية الهلال، وثبوت رؤيته لحظة في الأفق. والنسبة الذهنية الثانية: وهي تخيّل السامع لهذا الكلام الهلال مرئياً في الأفق. والنسبة الخارجية وهي: كون الهلال مكث لحظة في الأفق بعد غروب الشمس، فإن كانت هذه النسبة واقعية فعلاً فالخبر صادق، لتطابق النسبة واقعية فعلاً فالخبر صادق، لتطابق النسبة الخارجية مع النسبة الكلامية. وإن كان الهلال

---

[6] انظر: السيد أحمد الهاشمي (ت: 1362هـ)، جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية –بيروت، 1999م، ص: 69.

[7] انظر: عبد الرحمن حسن حبكنه الميداني (ت: 1425هـ)، البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم – دمشق والدار الشامية – بيروت، الطبعة: الأولى: 1416هـ –1996م، 221/1. وعتيق، علم المعاني، ص: 74–75.

[8] عتيق، علم المعاني، ص:80.

[9] انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص: 446.

لم يثبت له رؤية، فالخبر كاذب، لأنه لم يطابق الواقع. وهذا هو معنى عبارة البلاغيين المحدثين أن الخبر ما كان له نسبة خارجية يعنى خارج الذهن فإن أراد المتكلم بكلامه مطابقتها فيكون صادقاً، أو عدم مطابقتها فيكون كاذباً".[10] وأمّا الإنشاء فهو ما لا يحتمل الصدق والكذب: لأن مضمونه لا يقع إلا بعد النطق بطلبه. وقد يجاب الطلب أو لا يجاب ولذلك فإن الإنشاء ليس له إلا نسبتان من النسب الثلاث، بل له نسبتان فقط.[11] وهما: النسبة الكلامية والنسبة الذهنية وقد يعبر عنها بالنسبة العقلية. فمثلاً: إذا قال قائل لآخر: «أعرني كتابك». هذه الجملة إنشائية طلب بها أمر لم يكن موجوداً ساعة النطق بها والنسبة الكلامية فيها هي: طلب المتكلم استعارة كتاب المخاطب. أما النسبة الذهنية العقلية فهي: التصور الذهني لعملية إعارة الكتاب، سواء تحققت الإعارة أو لم تتحقق.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني (ت: 402هـ – 1013م) والمعتزلة: "الخبر: الكلام الذي يدخله الصدق والكذب، فأورد عليه خبر الله تعالى، فإنه لا يكون إلا صادقاً. فأجاب القاضي بأنه يصح دخوله لغةً. وقيل: الذي يدخله التصديق والتكذيب، وهو سالم من الإيراد المذكور".[12]

ذكرنا هذا من باب الفائدة وإلا فإن هذا مما يخالف أصلنا الذي يقول بوجوب التأدب في العبارات التي تتعلق بالله وكتبه ورسله وملائكته.

هذا وإن تقسيم الإنشاء إلى طلبي وغير طلبي يختلف باختلاف الاعتبار، فما يكون طلبياً باعتبار يكون غير طلبي باعتبارٍ آخر. وما اختلف في كونه طلبياً وغير طلبٍ فحمله على الطلبي أولى لأنه هو الأصل ولأنه ما من شيء ذكروه إلا وفيه شيء من الطلب ولو بتأويل أو وجه ما.

والخلاصة: إنَّ الإنشاء يتكون من عدة أساليب منها: الأمر، النهى، الاستفهام، النداء، التمني، الرجاء.

فالأصل في الأمر أن يكون للوجوب، أي وجوب إيجاد شيء لم يكن له وجود ساعة النطق. مثل قوله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: 190] مضمون الأمر في ﴿وَقَاتِلُوا﴾ هو الوجوب.

والأصل في النهى أن يكون لطلب الكف عن شيء على وجه الجزم، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ [آل عمران: 130] مضمون النهي في ﴿لا تَأْكُلُوا﴾ هو الحرمة.

والأصل في الاستفهام أن يكون لإعلام المستفهم أمراً هو يجهله. كما في قوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا﴾ [الأنبياء: 62].

والأصل في النداء أن يكون لطلب الإقبال المادي الحسي كما في قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: 30].

---

[10] مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص: 446.

[11] انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص: 449-450.

[12] أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، 1394هـ -1974م، 257/3.

والأصل في التمني أن يكون لطلب المستحيل أو ما فيه عسر، كتمني الكافر يوم القيامة أن يعود ترابا: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: 40]

والأصل في الرجاء أن يكون لطلب الممكن المحبوب. كما في قوله عز وجل: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: 1] وهكذا.

المسألة الثانية: بيان فضل هذا العلم وأهميته.

القاعدة الثانية: علم الخبر والإنشاء فضل عالمه فاضل مفضل، جهله خذل، وجاهله خاذل مخذول، وهالك مهلك. فمحرم عليه أن يتكلم في شيء من علم هذا الكتاب الذي فضله العليم الخبير بأساليبه الخبرية والإنشائية.

الشرح:

لا شك أنَّ هذا العلم إضافة إلى الجهات الثلاث المشهورة قد حاز الشرف لأن الإلمام بأصول التفسير يتطلب معرفة كثير من العلوم، وذلك من شأنه أن يمكِّننا بعد ذلك من إدراك المعاني، والأسرار والحكم في خبر كتاب ربنا وإنشائه. ولا يجوز لغير الملم بتلك الأصول أن يُقدِم على تفسير كتاب الله، لأنَّ قوله يكون مبنياً على شفا جرف هار ينهار به في وادي الخبر الكاذب والإنشاء السخيف، ولأن الذي يجهل علم البلاغة لا يكون بالغاً ولا دارياً ولا محمياً.

قال جار الله الزمخشري (ت: 538هـ -1144م): "لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني، وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونةً، وتعب في التنقير عنهما أزمنةً".[13]

المبحث الأول

بيان أقسام الكلام ومعاني الخبر ودلالاته والمعنى المقصود منه

وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: أَقسام الكلام وأَنواعه:

القاعدة الثالثة: الكلام إما خبر وإما إنشاء فلكل واحد منها صور وأقسام. ومجيء الخبر والإنشاء على صور شتى يدل على أن أسلوب القرآن الخبري والإنشائي وجه من وجوه إعجازه.

الشرح:

[13] جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1427هـ -2006م، 18/1.

اختلف العلماء في بيان أَقسام الكلام فمنهم من قال يقسم الكلام إلى اثنين: خبر وإنشاء ومنهم من قال ثلاثة: خبر، وطلب، وإنشاء، فالكلام إن احتمل التصديق والتكذيب فهو الخبر، وإن لم يحتمل فإما أن يقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، أو لا يقترن بل يتأَخَّرَ عنه فهو الطلب. ومنهم من قسمها إلى عشرة: نداء، ومسأَلة، وأَمر، وتشفُّع، وتعجُّب، وقَسَم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام. وقيل غير ذلك.

والتحقيق: هو انحصار الكلام في الخبر والإنشاء وما عداه يدخل تحت أحدهما.

واختلفوا أيضاً في بيان وقت نشأة الكلام حول مفهوم الخبر والإنشاء، فمن الباحثين من يرى أن نشأته كانت في عصر المأمون مع نشأة الجدل وفتنة القول بخلق القرآن؛ فقد بنى المعتزلة مذهبهم بخلق القرآن وفق رأيهم أن ما تضمنه لا يخرج عن إحدى ثلاث: أمر، ونهي، وخبر. وهذا بمذهبهم ينفي عنه صفة القِدم.

فالخبر: ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، بغض النظر عن المخبر والخبر، فهو من حيث المُخبِر ثلاثة أقسام:

الأول: ما لا يمكن وصفه بالكذب بل يجب وصفه بالصدق، كخبر الله سبحانه وخبر الرسول عليه الصلاة والسلام الثابت عنه.

الثاني: ما لا يمكن وصفه بالصدق بل يجب وصفه بالكذب، كالخبر عن المستحيل شرعاً أو عقلاً.

الثالث: ما يمكن أن يوصف بالصدق أو الكذب، بالتساوي أو مع رجحان أحدهما على الآخر، كمن أخبر عن سفر فلان أو قدوم فلان، هذا يحتمل.

وهو من حيث إفادته المعنى ينقسم قسمين: حقيقةً ومجازاً. أما معناه الحقيقي: فهو إفادة المتكلم المخاطب بمضمون الخبر. أو لازم فائدته. وأما معناه المجازي: فقد يخرج إلى معان مجازية منها الأمر والتحسر والتلطف واللوم والتهديد والوعيد.

والإنشاء: ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته وينقسم نوعين: طلبي، وغير طلبي.

فالإنشاء الطلبي: ما يستدعي مطلوباً غير حاضر وحاصل وقت الطلب. ويكون بصيغ الأمر والنهي والدعاء والاستفهام والعرض والتحضيض والتمني والرجاء.

والإنشاء غير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، ويكون بصيغ المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب والرجاء، ويكون برُبَّ ولعلَّ، وكم الخبرية. إلا أنه صيغ العقود تحتمل الخبرية والإنشائية فمثلا: إذا قلت اشتريت هذا الكتاب، فيكون خبرا إذا أردت أن تخبر أنك اشتريت لكن إذا أردت إمضاء هذا العقد، فهي إنشاء غير طلبي. وهكذا في كثير من المواضع.

هذا وإن علماء البلاغة لا يبحثون في الإنشاء غير الطلبي؛ حيث أن أغلب صيغه أصلها أخبار نقلت إلى الإنشاء.[14]

المطلب الثاني: المعنى المقصود بالخبر.

القاعدة الرابعة: المقصود بالخبر إما فائدته أي إفادة المتكلم المخاطب بمضمون الخبر. وإما لازم فائدته أي إفادة المتكلم المخاطب بأنه عالم بمضمون الخبر. قد يخرج إلى معان مجازية منها الأمر والتحسر والتلطف واللوم والتهديد والوعيد.

الشرح:

إن البلاغيين أجمعوا على أن واضعوا اللغة أرادوا للخبرين وظيفتين لا يخرج عنهما:[15]

الأولى: "فائدة الخبر" أي أن قائل الخبر يفيد السامع معنى جديداً لم يكن له به علم قبل سماعه. وهذه هي الغاية الأصلية من الخبر، ومثله: "نزل الغيث" اخبارا لمن لا يعلم بنزوله. ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القدر﴾ [القدر: 1] هذه الآية أفادت لأول مرة أن الله أنزل القرآن في ليلة القدر، ولم يكن لدى المخاطبين علم بهذا قبل نزول هذه الآية.

الثانية: "لازم الفائدة" وضابط هذه الوظيفة: أن يكون السامع عالماً بمضمون الخبر، فيكون غرض المخبر إعلام السامع بأن المتكلم عالم بمضمون الخبر هو أيضاً، كالقول "نزل الغيث" لمن يعلن بنزوله. فأنت لا تريد إعلامه بنزول الغيث، فهو عالم به، إنما تقصد إعلامه بعلمك بما يعلمه، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى حاكياً ما قاله يعقوب عليه السّلام لبنيه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ [يوسف: 19]، فيعقوب عليه السّلام لم يرد أن يخبر بنيه بأنه سوّلت لهم أنفسهم أمر التخلص من يوسف؛ لأنهم كانوا يعلمون بهذا التسويل أكثر منه. وإنما أراد أن يخبرهم أنه عالم بما حدث معهم لأخيهم يوسف. ففائدة الخبر ولازم فائدته هما الدلالتان اللتان أرادهما واضعو اللغة من الخبر وهما دلالتان حقيقيتان وضعيتان كدلالة السيف والرمح على آلتي القتال المعروفتين.

وورد في القرآن الكريم كما في اللغة بشكل عام استعمالات للخبر تكاد لا تحصى في معان مجازية غير فائدة الخبر، ولازم فائدته، تحمل معاني متعددة يقتضيها المقام لأغراض شتى. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 36] فلم ترد امرأة عمران أن تخبر الله بما لا يعلم في قولها إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى فالخبر هنا لم يرد للإعلام بفائدة الخبر، ولا لازم فائدة الخبر، بل خرج إلى معنى مجازي هو إظهار التحسر على إنجاب أنثى، وكانت ترغب أن يكون ذكراً ليخدم بيت المقدس الذي لا يقوم بالخدمة فيه إلا الذكور. ولم ترد أن تخبر الله عز وجل بما لا يعلم في قولها: "وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ" فالخبر

[14] انظر: السيوطي، الإتقان، 225/3. وعتيق، علم المعاني، ص: 42. والخطيب القزويني (ت: 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني – بيروت، الطبعة: السادسة، 1405هـ -1985م، 227/2.

[15] انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص: 448.

خرج عن الإعلام بفائدة الخبر، وعن لازم الفائدة، إلى معنى مجازي هو التلطف في الدعاء والاستعاذة بالله أن يحفظ المولودة وذريتها من الشيطان الرجيم.

ومنه قوله تعالى في شأن اليهود: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 7] ومرجع الضمير في: ﴿لا يَتَمَنَّوْنَهُ﴾ هو الموت. فخرج الخبر عن الإعلام بفائدة الخبر ولازمها إلى معنى آخر مجازي هو التهديد والوعيد لأن علمه – سبحانه – بالظالمين يقتضي عقابه إياهم على ظلمهم.

ومنه قوله تعالى حكاية عما قاله فرعون لموسى عليه السّلام: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ [الشعراء: 19] فلم يرد –عليه اللعنة –إعلام موسى عليه السّلام بما فعل حين قتل المصري. وإنما أراد لومه وانكساره بين يديه، وهو معنى مجازي خارج عن الإعلام بفائدة الخبر، ولازم فائدته.

قال ابن فارس رحمه الله (ت:395 هـ –1005م): "والمعاني التي يحتملها لفظ الخبر كثيرة: فمنها التعجب نحو: ما أحسن زيداً، والتمني نحو: ودِدتُك عندنا، والإنكار: ما له عليَّ حق، والنفي: لا بأسَ عليك، والأمر نحو قوله جل ثناؤه: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: 228]، والنهي نحو قوله: [لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ] [الواقعة: 79]، والتعظيم نحو: سبحان الله. والدعاء نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، والوعد نحو قوله جل وعز: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ [فصلت: 53]، والوعيد نحو قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الشعراء: 227]، والإنكار والتبكيت نحو قوله جل ثناؤه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان :49]. وربما كان اللفظ خبراً والمعنى شرطٌ وجزاء، نحو قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان :15]. فظاهره خبر، والمعنى: إنا إن نكشف عنكم العذاب تعودوا. ومثله ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة:229] المعنى: مَنْ طلقَ امرأته مرتين فليمسكها بعدهما بمعروف أو يسرحها بإحسان".[16]

المطلب الثالث: ورود الخبر على المعاني المجازية من الأمر والنهي واللوم والوعد والوعيد والإنكار والنفي. وفيها سبع مسائل:

المسألة الأولى: إفادة الخبر معنى الأمر.

القاعدة الخامسة: قد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي فيفيد معنى الأمر والدعاء بل يكون أبلغ من صيغة الأمر نفسها.

الشرح:

[16] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى: 395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ -1997م، ص: 133.

لا شك أنه قد يكون اللفظ خبراً، والمعنى دعاء وطلب. نحوه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] أي: فأعنا على عبادتك. وقولهم: (نستغفر الله)، أي: اللهم اغْفِر لنا، ومثله قوله تعالى: ﴿لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ﴾ [يوسف:92].

وقد يُرَادُ من الخبر في الجملة الخبريّةِ الأمْرُ، ومِنْهُ: قوله تعالى: ﴿والوالدات يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرضاعة...﴾ [البقرة: 233] أي: ولْيُرْضِعِ الوالداتُ أَوْلاَدَهُنَّ. وقوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بالمعروف وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكر ...﴾ [التوبة: 71]. أي: ليكُن المؤمنون والمؤمناتُ بعضُهم أولياءَ بعضٍ﴾. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿والمطلقات يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قرواء...﴾ [البقرة: 228]. أي: والمطلقات يتربَّصْنَ.

ويمكن أن يقال: إنه قد يكون السبب في دلالة الجملة الخبرية على الأمر احتفاف القرائن، فالصيغة الخبريّة لا تستخدم وضعا في معنى الأمر، ولكنَّ هذه الدّلالة لحقت بها من دلالة اللّزُوم الفكري.

بأنّ بعضَهُمْ أولياءُ بعْضٍ، وبأنهم يأمُرونَ بالمعروف وينهون عن المنكر، يدُلُّ باللُّزوم الفكريّ على أنّهم لا يَتَحَلَّون بهذه الصفاتِ إلاَّ بدافعٍ من إيمانِهِمْ وخوفهم من ربّهم، وحرصهم على طاعته فيما أمرهم به، ولو لم تكن هذه الصفاتُ ممّا أمَر الله به لمَا كانَتْ أثراً من آثار إيمانهم الصادق.

ثم إنّ مثلَ هذه الصيغةِ الخبريَّةِ الواردة في الآية والمحفوفة بالقرائن، تدُلُّ على أنّ الأمْر بما جاء فيها من صفاتٍ للمؤمنين، قد كان أَمْراً بالغَ الشّدَةِ والجَزْمِ، فلم يَكُنْ في وُسْعِ المؤمنين الصادقين إلاَّ الالتزامُ بطاعة اللهِ فيه".[17] أي فليتربَّصن. قال الزمخشري (ت:538هـ -1144م): "وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يُخبر عنه موجوداً".[18]

"وقد يراد من الخبر في الجملة الخبريّة الدعاء، وهذا كثير، منه قولنا: يَرْحَمُ اللهُ موتانا ويَغْفِرُ لهم. أي: اللهم ارحمهم واغفرْ لهم. وفي استخدام الخبر في الدّعاء معنى التفاؤُل باستجابة اللهِ الدعاء، وتَحَقُّقِهِ في الواقع حتَّى يكون خبراً. وقولُ يوسف عليه السلام لأخوته فيما حكى الله: ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليوم يَغْفِرُ الله لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الراحمين﴾ [يوسف: 92]. ﴿يَغْفِرُ اللهُ لَكُم﴾ جملةٌ خَبَرِيَّةٌ أُرِيدَ منها الدُّعَاءُ لهم بأَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ. وكان من دعاء الرَّسُولِ ﷺ لصحابي من أصحابه: "غَفَرَ اللهُ له" بأسلوب الخبر، والمعنى: اللهم اغفرْ له، وكان هذا الدّعاءُ مشعراً بقرب وفاة من دعَا الرَّسُولُ له به".[19]

المسألة الثانية: في إفادة الخبر معنى النهي.

[17] حبنكه الميداني، البلاغة العربية، 1/175-176 (بتصرف يسير).

[18] الزمخشري، الكشاف، 1/270.

[19] حبنكه الميداني، البلاغة العربية، ج:1، ص:177-178.

القاعدة السادسة: قد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي فيفيد معنى النهي بل يكون أبلغ من صيغة النهي نفسها.

الشرح:

النهي أحد أساليب الإنشاء وهو طلب الكف عن أمرٍ ما؛ وقد ترد الجملة الخبرية بمعنى النهي لدلالة تنبثق من السياق.

فمن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿الحج أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحج فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحج ...﴾ [البقرة: 197] أي: من نوى فريضة الحج بهذه الأشهر فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل.

وخروج الخبر عن معناه وإفادته النهي هو من نظير دلالته على الأمر لوجود قرينة. ورأى ابْنُ العربي أنّ ما ذُكِرَ من خروج الخبر إلى النَّهْيِ غَيْرُ مقبول، لاحتمال حَمْلِ الكلام على معنى آخر غير ما ذكروا.

ومن العلماء من قال: "إن قوله تعالى: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحج...﴾ [البقرة: 197] ليس نفياً لوجودِ الرَّفَثِ، بل هو نفيٌ لمشروعيَّته، فإنّ الرَّفث يوجَدُ من بعض الناس، وأخبارُ الله تعالى لا يجوزُ أن تقع بخلاف الواقع، وإنما يَرْجِعُ النفيُ إلى وُجوده مشروعاً، لا إلى وُجوده مَحْسُوساً، قال: وهذه هي الدفينة التي فاتت العلماء فقالوا: إنّ الخبر يكون بمعنى النهي، وما وُجد ذلك قطُّ، ولا يصحُّ أن يُوجَد، فإنَّهما مختلفات حقيقةً، ويتباينان وصفاً. والتحقيق: إن ما ذكر ابْنُ العربيّ وجْهٌ يُمْكن أنْ يُقْصَد، لكن استعمالَ النَّفي بمعنى النَّهْي أمْرٌ متدَاولٌ بين الناس، ويدعو إليه عدّة دواعٍ بلاغيّة، منها التلطّفُ بالمخاطب".[20]

المسألة الثالثة: إفادة الخبر معنى الإنكار.

القاعدة السابعة: قد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي فيفيد معنى الإنكار، بل يكون أبلغ من صيغة الإنكار نفسها.

الشرح:

الإنكار من فعل أنكر يُنْكر أي جحد؛ والتجاهل وعدم المعرفة بالشيء؛ ويرد بمعاني مثل الشجب والتنديد. والجملة الخبرية بإيحاءاتها المتعددة قد تخرج عن دلالتها الحقيقية لتفيد معنى الإنكار بصياغة أبلغ من الصيغة الموضوعة للإنكار حقيقة.

فمن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79]. النفي هنا بمعنى النهي. فكأن المخاطبين بدأوا العمل بمقتضى النهي واجتنبوا قبل أن يصدر الخطاب وفي هذا إشارة إلى وجوب اجتناب غير الطاهرين عن المس.

[20] حبنكه الميداني، البلاغة العربية، البلاغة العربية، 177/1. (بتصرف يسير).

"ونازع ابنُ العربيّ هنا أيضا في قولهم: إن الخبر يرد بمعنى النهي، لأنه ليس نفياً لوجود المس، بل نفيٌ لمشروعيّته، فإنَّ المس يوجد من بعض الناس، وأَخبار الله تعالى لا يجوز أن تقعَ بخلاف مخبره؛ وإنما يرجع النفي إلى وجوده مشروعاً لا إلى وجوده محسوساً، أَي لا يمسّه أَحد منهم شرعاً، فإن وجد المسّ فعلى خلاف حكم الشرع"[21].

والتحقيق: إن أولى الرأيين بالقول هو الأول، أما الثاني فله وجاهته التي تجعلنا نضعه أمام أعيننا في مثل هذا الموضع.

هذا وإن هناك مواضع يجب أن يحمل الخبر فيها على معناه الحقيقي ذلك إذا جاء الكلامان بجحدين. "قال صاحب الياقوتة: قال ثعلب والمبرد: العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخباراً، نحو: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: 8]. والمعنى: إنا جعلناهم جسدا يأكلون الطعام".[22]

قال السيوطي (ت:911هـ -1505م): "من أَقسام الخبر النفي، بل هو شطرُ الكلام كلّه. والفرق بينه وبين الجحْد: أَن النافي إن كان صادقاً سُمِّيَ كلامه نفياً ولا يسمَّى جَحْداً، وإن كان كاذباً سمِّيَ جحداً ونفياً أَيضاً، فكلُّ جَحْد نفي، وليس كل نفي جَحْداً. ذكره أَبو جعفر النحاس وابن الشجريّ وغيرهما. مثال النفي: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: 40]. ومثال الجَحْد: نفي فرعون وقومه آيات موسى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَـذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: 13، 14]".[23]

المسألة الرابعة: إفادة الخبر معنى الوعد.

القاعدة الثامنة: قد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي فيفيد معنى الوعد والتبشير بل يكون أبلغ من صيغة الوعد نفسها.

الشرح:

لا شك أن حروف كلمة (الوَعْد) في نظامها تثير من المدركات والمعارف الذهنية المعاني الكثيرة فهي بذلك كلمة واسعة الدلالة؛ فهي استخدمت _غالبا_ للدلالة على الخير. وزيادة حرف الياء يحولها عن معناها إلى التهديد، ولهذا فالوعد يختلف دلالة عن الوعيد.

والجملة الخبرية استعملت مجموعة من الوعد كما استعملت مجموعة ألفاظ دالة عليه، وخاصة استعمالات (السين) و(سوف)، وباللغة غالبا استعمل (السين) للوعد، و(سوف) للوعيد؛ والقرآن لم يفرق بين استعمالاتهما.

فمن أمثلة ذلك في الوعد قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: 5]. حيث إن كلمة (سوف) فوق السياق أفادت الوعد والرجاء والعطاء القادم من الله عز وجل لنبيه؛ ففي الدنيا النصر على الأعداء وإعلاء كلمة الإسلام على الكفر، وفي الآخرة التنعم بجنان الخلد هو ومن آمن به. وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي

[21] السيوطي، الإتقان، 258/3. (بتصرف).
[22] السيوطي، الإتقان، 266/3-267.
[23] السيوطي، الإتقان، 260/3-261.

الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53] حيث إنه استخدمت (السين) هنا للوعد، قال الزمخشري (ت: 538هـ -1144م): "يعني ما يُسِرّ الله (عَزَّ وَجَلَّ) لرسوله ﷺ وللخلفاء من بعده ونُصّار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموماً وفي باحة العرب خصوصاً من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم".[24] وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]. وقوله: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 146].

المسألة الخامسة: إفادة الخبر معنى الوعيد.

القاعدة التاسعة: قد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي فيفيد معنى الوعيد والتهديد بل يكون أبلغ من صيغة الوعيد نفسها.

الشرح:

من فعل أَوعَد، والمصدر منه الإيعاد والوعيد يكون غالباً للتهديد، ولا يحصر به فقد يستعمل للدلالة في الخير، كما تستعمل وعد للشر، وقد استعملت الجملة الخبرية ألفاظ الوعيد ومعاني أخرى في معناه كما استعمله القرآن الكريم والشعر ولاسيما (السين وسوف).

فمن أمثلة ذلك في الوعيد قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنقَلَبٍ﴾ [الشعراء: 227] قوله تعالى: ﴿... فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59] وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النساء: 30] هذه الآيات أوضحت مصير من سيبتعد عن الحق وبينت عاقبته، واستعمال (سوف) قد يوهم المذنب أنه بمنجى من العقاب؛ فجاء السياق ليؤكد العقاب ونوعه، و(سوف) جاءت متضمنة لأفعال الشر التي فعلها والتي جعلت مصيره هذا المصير، فالجملة الخبرية بسياق الوعيد التهديد أفادت التراخي والإمهال من الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا اَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227]. وكذلك قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: 5-6]. فالمعنى التوعد والتهديد الذي تفيده (السين) أقرب في التحقق الزمني مما عليه بناء (سوف) فالظلم هو الكفر بما أنزل الله، ولذلك ختم به الله سبحانه سورة الشعراء. وقال الزمخشري (ت: 538هـ -1144م): "ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأَهْول، ولا أَنكى لقلوب المتأملين، ولا أَصدع لأكباد المتدبرين؛ وذلك قوله ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ وما فيه من الوعيد البليغ".[25]

المسألة السادسة: إفادة الخبر معنى التحذير.

القاعدة العاشرة: قد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي فيفيد معنى التحذير بل يكون أبلغ من صيغة التحذير نفسها.

الشرح:

[24] الزمخشري، الكشاف، 207/4.

[25] الزمخشري، الكشاف، 345/3.

التحذير: من حَذَّر يُحذِّر تحذيراً؛ أي التخويف والتهديد بالشر، وهو مختلف عن أسلوب التحذير المستخدم في اللغة، الدال على التحذير من الوقوع في الشيء بأسلوب مخصص مثل: إياك من الخلل.

والتحذير من أطرف الأغراض المجازية للجملة الخبرية في خروجها عن غرضها لأغراض مجازية لغاية بلاغية؛ كقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:228]. أفادت تحديد الطلاق بمرتين إضافة إلى التحذير من أن يطلق مرتين لأنه عندها لن يملك إلا اختيار واحد فإما يمسك ويحسن العشرة أو أن يسرح بالحسنة؛ فليس له رجعة إن طلق الثالثة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات: 3]. تحذير مع ترغيب، فالاتصاف بخَفْض الصوت عند رسول الله ﷺ في مجلسه وعند ندائه من وراء الحجرات صفة للأتقياء، غير أن الآية لا تكتفي بالإخبار عن اتصافهم بخفض الصوت والترغيب به بل تحذر من رفع الصوت وتنهى عنه.[26]

المسألة السابعة: إفادة الخبر معنى النفي.

قاعدة: قد يخرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي فيفيد معنى النفي بل يكون أبلغ من صيغة النفي نفسها.

الشرح:

النفي خروج الفعل عن صفة الحدوث حيث أن الحدوث إيجاب على الإطلاق وهو من أساليب الإنشاء غير الطلبي؛ والنفي يفيد معاني بلاغية جمالية عند استعماله في الجملة الخبرية.

ومن أمثلة الجملة الخبرية التي تفيد نفيا ضمنيا قوله تعالى: ﴿إِنَّما يتذكر أولو الألباب﴾ [الرعد: 19]. "التعريض إنما وقع بأن كان من شأن (إنما) أن تضمّن الكلام معنى النفي من بعد الإثبات، والتصريح بامتناع التذكر ممن لا يعقل، وعليه قولنا: "إنما أنت حالم"، وعكسه قوله (ما المستشير بنادم)، ومثله قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ [آل عمران : 144]، فالغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه، ولهذا جاء النفي ثم نُقض بالحصر فأفاد الإثبات وتأكيد المعنى المجازي للجملة الخبرية، وعليه قوله تعالى: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأنَّ الله ليس بظلام للعبيد﴾[آل عمران : 182] فقد يقول قائل: لِمَ عطف كلاماً منفياً على كلام مثبت؟! قلت: معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم، فالمضمون والهدف من النفي إنما هو للإثبات".[27]

[26] انظر: حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص:74

[27] انظر: حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص:66.

المبحث الثاني

أقسام الإنشاء ودلالاته. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: الإنشاء غير الطلبي وفيه مسائل.

قاعدة: الإنشاء غير الطلبي يكون بصيغ منها المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب والرجاء، ويكون برُبَّ ولعلَّ، وكم الخبرية.

الشرح:

ههنا مسائل:

المسألة الأولى: كون "نعم" إنشاء غير طلبي يفيد المدح.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿والأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الماهِدُونَ﴾ [الذاريات: 48] فقوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ الماهِدُونَ﴾ أسلوب إنشائي لا يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ولكنه يفيد المدح فهو إنشاء غير طلبي.

المسألة الثانية: كون "بئس" إنشاء غير طلبي يفيد الذم.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: 50] فقوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أسلوب إنشائي لا يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ولكنه يفيد الذم فهو إنشاء غير طلبي.

هذا وإنه تُستعمَل بعض الأفعال القياسيّة للدّلالة على المدحِ أو الذّم، وهي: كلّ فعلٍ ثُلاثي على وزن "فَعُلَ" من الباب الخامس ك (ساءَ، كَبُرَ وَحَسُنَ وضَعُفَ)، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 9] ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3] ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69] ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73] أما كون أصل ساء فعلاً متعدياً من الباب الأَول فلا يضر لأنه نقل للذم إلى باب (فَعُل): جمُدَ وأَصبح لازماً بمعنى بئس.

المسألة الثالثة: الرجاء

قيل: هو من الإنشاء غير الطلبي على رأي وله أربع أدوات ما بين حرف وفعل هي «لعلّ وعسى، وحري، واخلولق» ف «لعلّ» حرف وما عداها أفعال.

و«لعلّ» من صيغ الإنشاء غير الطلبي وتفيد الرجاء. أمّا «لعلّ» إذا كانت بمعنى «كي» نحو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، و﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي كي تتقوا، وكي تتذكروا أو كانت بمعنى «ظنّ». فإنها في هاتين الحالين لا تفيد الرجاء، وبالتالي لا تعد من صيغ الإنشاء غير الطلبي ولو على رأي.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ [المائدة: 52] فقوله تعالى: ﴿فَعَسَى﴾ أسلوب إنشائي لا يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ولكنه يفيد الرجاء فهو إنشاء غير طلبي على رأي.

المسألة الرابعة: صيغ العقود:

هي الصيغ المستخدمة لإنشاء العقود مثل بعت وانكحت وأوقفت، وقبلت رداً على الإيجاب عقد التزويج، والاختلاف بين الإنشائيين الطلبي وغير الطلبي أن الإنشاء الطلبي يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه، مثل الأمر "بع كتبك" فإن لفظ الأمر بالبيع "بع" سابق في الوجود عن أداء فعل البيع المطلوب وتنفيذه، أما الغير طلبي فيتفق زمن وجود اللفظ مع حدوث الفعل مثل "بعتك هذا الكتاب" فبها يخرج الكتاب زمن إنشاء اللفظ من ملك البائع ليصبح في ملك المشتري.

المسألة الخامسة: كون " ما أفعل وأفعل به " إنشاء غير طلبي يفيد التعجب والتعجيب.

صيغة "ما أفعل وأفعل به" أسلوب إنشائي لا يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب فهو إنشاء غير طلبي، يستعمل للدلالة على المدح الداعي للتعجب.

ومن أمثلته على إفادة المدح قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:26] ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ صيغتي تعجيب من سعة علمه سبحانه وتعالى التي شملت المسموع والمبصر مما غاب في السماوات والأرض فلا يشاركه بعلمه أحد، قلنا صيغتا تعجيب ولم نقل صيغتا تعجب لأن الله لا يتعجب بل يدلنا على ما ينبغي لنا أن نتعجب منه، ولأن أمره تعالى في الإدراك خارج عما عليه إدراك المبصرين والسامعين. فلا يحجبه شيء، ولا يتفاوت عنده لطيف وكثيف، وصغير وكبير، وجلي وخفي. أي ما أبصره وما أسمعه، والهاءُ للهِ تعالى على سبيل المجاز والمراد أنه سبحانه لا يغيب عن بصره وسمعه شيء.

هذا وإن في مثلِ قوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾ ثلاثةُ مذاهبَ: "الأصحُّ أنه بلفظِ الأمرِ ومعناه الخبرُ، والباءُ مزيدةٌ في الفاعل إصلاحاً للَّفْظ. والثاني: أنَّ الفاعلَ ضميرُ المصدرِ. والثالث: أنه ضميرُ المخاطبِ، أي: أَوْقِعْ أيها المخاطبُ. وقيل: هو أمرٌ حقيقةً لا تعجبٌ، وأن الهاءَ تعودُ على الهُدَى المفهوم من الكلام. وقرأ عيسى: "أَسْمَعَ" و "أَبْصَرَ" فعلاً ماضياً، والفاعلُ الله تعالى، وكذلك الهاءُ في "به"، أي: أبصرَ عبادَه وأَسْمعهم".[28]

هذا وإنه لما كان التّعجّب الحقيقي يدل على الجهل وعدم العلم لكونه كلاماً يفيد الدّهشة والاستغراب قلنا الجائز في حق الله التعجيب لا التعجب فإنه لا يتعجب بل يجعل غيره يتعجب.

المسألة السادسة: كون " القسم " إنشاء غير طلبي يفيد التأكيد.

القسم من أقسام الإنشاء غير الطلبي نقل القرافي الإجماع على ذلك. إلا أنه قد يكون من أقسام الخبر والقرائن هي التي تزيل ما فيه من الإبهام. وهو من أقوى طرق توكيد الكلام أو الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع. وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم، فيؤتى به لدفع إنكار المنكرين أو إزالة شك الشاكين. وله معنى حقيقي: هو يمينٌ يحْلِفُها الإنسانُ بما هو معظّم عنده حقيقة أو اعتقاداً من الله تعالى وغيره ليربط نفسه بالامتناع عن

[28] أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، 2011م، 7/471-472.

شيء أو الإقدام عليه على سبيل التأكيد. وله معان أخر مجازية يرد عليها منها: التعجب. أفرده ابن القيّم بالتصنيف في مجلد سمَّاه (التبيان).

ومن أشهر أدوات القسم: الباء، والواو، والتاء واللام، والباء هو أصلها وإن كان الواو أكثرها استعمالا لكونها للإلصاق فَهي تلصق فعل الْقسم بالمقسم بهِ، ولهذا خص بأحكام منها:

يذكر فعله معه، كقولهم: "أقسم بالله لأفعلن".

يدخل على الضمير كقولهم: "به لأفعلن".

القسم الاستعطافي كقولهم: "بالله ماذا فعلتَ؟ ". أي: أسألك بالله مستحلفاً.

والواو يجر الاسم الظاهر، ولا يتعلق إلا بمقدر محذوف نحو: "أقسم، وأحلف". وإذا دققنا النظر في القرآن نجد أن أكثر الأقسام المحذوفة الفعل لا تكون إلاَّ بالواو، وعند ذكر الباء يذكر الفعل، كقوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النور: 53]. ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: 62]. فعند حذف الفعل لا يقسم بالباء. لذا فالآيات التالية لا تأخذ على محمل القسم ﴿بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ﴾ [لقمان: 13]. ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الزخرف: 49]. ﴿بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: 116].

وأما التاء فإنه يختص باسم الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: 57]. فلا يقال تالرب، ولا تالكعبة.

ويمكن أن يقال: إنه لما كثر القسَم في الكلام حذف الفعل اختصاراً، مع إبقاء الباء لدلالته عليه، ثم ابدلت الباء بالواو في الأسماء الظاهرة، والتاء في اسم الله تعالى، كقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: 57].

والقَسَم قسمان: قسم ظاهر: كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الآنعام:23]، وقسم مضمر، وهو قسمان أيضاً: قَسَم دل عليه اللام، مثل قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَالِكُمْ﴾ [آل عمران: 186]. وقَسمٌ يدلَّ عليه معناه، نحو: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: 71]. مع تقدير: (والله).

"وقال أَبو عليّ الفارسي: الأَلفاظ الجارية مجرى القسَم ضربان: أَحدهما: ما تكون كغيرها من الأَخبار التي ليست بقسم، فلا تجاب بجوابه كقوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: 8]. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ﴾ [البقرة: 63]. ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: 18]. وهذا ونحوه يجوز أَن يكون قسماً، وأن يكون حالاً، لخلُوّه من الجواب. والثاني: ما يتلقى بجواب القَسَم، كقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 187]. ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ [النور: 53]".[29]

والمقسم به قد يكون خالقاً فيقسم به الخالق، والمخلوق وقد يكون مخلوقاً فيقسم به الخالق دون المخلوق. أما كونه خالقاً فلأنه لا يكون القَسَم إلاَّ باسم معظَّم، وأقسم الحق سبحانه في كتابه الكريم بنفسه وبصفاته في عدة آيات منها: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: 22-23] ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ [يونس: 53]. ﴿بَلَى

[29] السيوطي، الإتقان، 4/55-56.

وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: 7]. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مريم: 68]. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 92]. فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: 65]. ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: 40]. ومنها: ﴿يس–وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: 1–2]، ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: 1]، ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: 1]، ﴿حم –وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: 1–2].

وأيضاً قد أقسم العباد بربهم في مواضع من القرآن منها: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: 57] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف: 73] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:90].

وأما كونه مخلوقاً فلأنه تعالى قد أقسم بمخلوقاته في مواضع منها: قوله تعالى: ﴿لعمرك﴾ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ ﴿وَالشَّمْسِ﴾ ﴿وَالقمر﴾ [﴿وَاللَّيْلِ﴾ ﴿وَالنجمِ﴾ ﴿وَالضُّحَى﴾ ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾.

إن قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ أسلوب إنشائي لا يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ولكنه يفيد التأكيد فهو إنشاء غير طلبي.

"وقال العلماء: أقسم الله تعالى بالنبي ﷺ في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه، أخرج ابن مَرْدويه عن ابن عباس قال: ما خلق الله وما ذرأ ولا برأ نفساً أكرمَ عليه من محمد ﷺ، وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحدٍ غيره، قال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: 72]. وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ): القَسَم بالشيء لا يخرج عن وجهين: إما لفضيلة أو لمنفعة. فالفضيلة، كقوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ والمنفعة، نحو: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: 1–3]. وقال غيره: أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء؛ بذاته كالآيات السابقة. وبفعله، نحو: ﴿وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: 5–7]. وبمفعوله، نحو: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: 1]. ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: 1–2]". [30]

فههنا يخطر بالبال سؤالان الأول: هو "كيف أقسم الله بالخَلْق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله؟ يمكن أن يجاب عنه بأوجه: "أحدُها: أنه على حذف مضاف، أي وربّ التين وربّ الشمس؛ وكذا الباقي. الثاني: أنَّ العَرب كانت تعظِّم هذه الأشياء، وتُقْسِم بها، فنزل القرآن على ما يعرفون. الثالث: أنَّ الأقسام إنما تكون بما يعظمه المُقسِم أو يجلّه وهو فوقَه، والله تعالى ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته؛ لأنها تدلُّ على بارئ وصانع. وقال ابن أبي الإصبع (ت:654 هـ) في "أسرار الفواتح": والقسَم بالمصنوعات يستلزم القسَم بالصانع؛ لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل؛ إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل. وأخرج ابنُ أبي حاتم (ت:327هـ – 939م)، عن الحسن قال: إنَّ الله يُقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحدٍ أن يقسم إلاَّ بالله". [31]

والثاني: هو ما معنى القسَم منه تعالى؟ "فإنَّه إن كان لأجْل المؤمن فالمؤمن مصدِّق بمجرد الإخبار من غير قسَم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده! وأجيب عن هذا بأن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القَسَم إذا أرادت أن

[30] السيوطي، الإتقان، 55/4.

[31] السيوطي، الإتقان، 54/4–55.

تؤكِّد أمراً. وأجاب أبو القاسم القشيري (ت:465هـ – 1064م): بأن الله ذكر القَسَم لكمال الحجة وتأكيدها؛ وذلك أنَّ الحكم يفصَل باثنين: إما بالشهادة وإمَّا بالقَسَم، فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 18]. وقال: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّيۤ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: 53]. وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: 22-23]. صرخ وقال: مَنْ ذَا الذي أغضب الجليل حتى أَلجأَه إلى اليمين؟"[32]

وأما المقسم عليه فقد أقسم الله عز وجل على أُصول الإيمان المقصود توكيدها بالقسم فاقسم على التوحيد، كقوله:﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا، فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا، فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا، إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِد، ﴾[الصافات: 1-4]. وعلى أَنَّ القرآن حقّ، كقوله: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 75-77]. وعلى أَنَّ الرسول حقّ، كقوله: ﴿يسۤ * وَالْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 1-3]. وعلى الجزاء والوعد والوعيد، ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوا، فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرا، فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرا، فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرا، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِق، وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِع﴾ [الذاريات: 1-6]وعلى حالات للإنسان: ﴿إِنَّ ٱلإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: 1-6].

والمقسم عليه قد يكون محذوفاً بل يكون حذفه أَبلغ وأَوجز. وذلك يكثر إذا أشار المقسم به إلى المقْسم عليه؛ وحصل المقصود بذكره. كما في قوله: "﴿صۤ وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: 1]. إن القرآن الكريم المقسم به وما وصف به بأَنه (ذو الذكر) أي المتضمن للذكر وما بهذا القسم من دلالة على العظمة والمكانة ما دلُّ على المقسَم عليه، وهو كون القرآن حقا منزل من عند الله عز وجل ليس مختلق كما ادعى المشركون، ولهذا ذهب العلماء إلى تقدير جواب القسم "بأن القرآن لحق" وكذا في قوله تعالى: ﴿قۤ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: 1]".[33]

وقال ابن القيّم (ت:751هـ-1350م): "وهو سبحانه يُقسم بأُمور على أُمور، وإنما يقسم بنفسه المقدَّسة الموصوفة بصفاته، أَو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته. وإقسامُه ببعض المخلوقات دليل على أَنَّها من عظيم آياته، فالقَسمَ إما عَلَى جملة خبرية وهو الغالب، كقوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: 23]. وإما على جملة طلبيَّة كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92-93]. مع أَن هذا القَسم قد يُراد به تحقيق المقسَم عليه، فيكون من باب الخبر، وقد يراد به تحقيق القَسم؛ والمقسَم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بدَّ أَن يكون ممَّا يحسن فيه ذلك كالأُمور الغائبة والخفية إذا أَقسم على ثبوتها؛ فأَما الأُمور المشهورة الظاهرة كالشمس والقمر، والليل والنهار، والسماء والأَرض، فهذه يُقسِم بها ولا يقسم عليها، وما أَقسم عليه الربُّ فهو من آياته، فيجوز أَن يكون مقسَماً به ولا ينعكس، وهو سبحانه وتعالى يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب، ويحذفه أُخرى؛ كما يحذف جواب ﴿لو﴾ كثيراً للعلم به".[34]

---

[32] السيوطي، الإتقان، 53/4.

[33] انظر: السيوطي، الإتقان، 58/4-59.

[34] شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، التبيان في أقسام القرآن، صححه وعلّق على هوامشه: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، 1933م، ص: 1-2.

وللقسم في القرآن أسرار وحكم كثيرة منها: المناسبة بين أركانه كوجود مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه كما في قوله: "﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ...﴾ [الضحى: 1-2]. الآيات، أَقسم تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له؛ وذلك متضمّن لتصديقه له، فهو قسَم على النبوَّة والمعاد، وأَقسم بآيتين عظيمتين من آياته. وتأمل مطابقة هذا القَسَم -وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل-المقسم عليه، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أَعداؤه: ودّع محمداً ربُّه، فأَقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه."[35]

أغراض القسم في القرآن الكريم:

وللقسم أغراض كثير منها ما يلي:

الغرض الأصلي: تأكيد الخبر وتقريره أو توكيد المقسم عليه وتقريره وتثبيته في قلوب العباد ليستيقنوه حق الاستيقان، على أن توكيد المقسم عليه بالمقسم به يعد ضربا من الإيجاز، "وتلك عادة العرب الذين كانوا يقطعون كلامهم بالقسم، لأن القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده. وهذا الغرض يظهر لنا إذا علمنا أن المقسم عليه كثيرا ما يكون من الأمور الخفية الغائبة، فيقسم عليها لإثباتها، مثل قوله تعالى﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: 1-4] فالقسم في كلام الله يزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة".[36]

هذا وإنه لما كان القصد بالقَسَم تحقيق الخبر وتوكيده، جعل العلماء قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: 107] من قبيل القسم وإن كان السياق للإخبار بالشهادة لكونها جاءت تأكيداً لخبر.

بيان عظمة المقسم به وله: فقد يرد القَسَم بقصد التعظيم ،كـ (القَسَم) بالله، و(القَسَم) بالنبي ﷺ. ويقرر الألوسي (ت:1270هـ – 1864م) أن "القَسَم يتضمن الإخبار عن تعظيم المقسم به"،[37] وأن "الإقسام بالشيء إعظام له".[38]

لفت الأنظار إلى الكون: هذا الكون البديع بنظامه المحكم وأسراره العجيبة، لا ترى فيه من فتور مهما قلبت بصرك، جاء في القرآن القسم بهذا الإبداع وبمظاهر هذا الانتظام وما احتواه من عظيم الآيات.

---

[35] السيوطي، الإتقان، 59/4.

[36] سامي عطا حسن، أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – الكويت، المجلد: 18، العدد: 53، 2003م، ص: 54.

[37] أبو الفضل شهاد الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ-1994م، 151/15.

[38] الألوسي، روح المعاني، 359/15.

إثبات صدق النبي ﷺ بنبوته: من الاعتقادات التي كانت سائدة عند العرب أن اليمين الكاذب لا بد أن يحيق بصاحبه ملحقاً به الضرر الكبير، فالنبي ﷺ استخدم القسم بأمر من الله عز وجل وهو الصادق المبرور القسم من رب العزة، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: 53] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ [سبأ: 3] فكان قسمه عليه السلام عن ثقة ويقين بربه الذي بره ورفع من شأنه ودفع عنه ضرر المتربصين، فكان دليلاً على صدق دعواه.

إظهار المفاهيم العقلية بصورة حسية: إن العقول تتفاوت في الإدراك، وخاصة المفاهيم العقلية فما يدركه البعض بسهولة قد يختلط على آخر دركه إلا بتقريبه إلا ما يشبهه من الحسيات مما يجعله صورة ماثلة أمام الأعين فتستوعبه العقول أكثر، وقد راعى القرآن العظيم هذا فنجده قرب بعض المفاهيم مثل تشبيه الوحي بالضحى وتشبيه الباطل بالليل، مشيراً إلى أن الليل سيتبعه صباح منير، وكما يزيل الضحى ظلام الليل سيزيل نور الوحي واليقين ظلام الشرك وظلم المشركين.

تصحيح العقائد الباطلة: أقسم الله عز وجل بمخلوقات في الكون ظن البعض أنها آلهة ولها تأثير في العالم، بسياق يدل على أنها مجرد مخلوق من مخلوقاته، مثل النجم إذا هوى، وبالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها، وبالكواكب

التنبيه إلى أحداث مهمة: فبعض الأحداث كان لها أثر كبير فجاء القسم الإلهي بها تنبيها إلى أهميتها وأثرها فيما بعدها، مثل القسم بالطور هذا الجبل والإشارة إلى الآيات التي أكرم الله عز وجل موسى عليه السلام بها.[39]

وقد ذكر الدكتور خالد السبت في كتابه قواعد التفسير قاعدتين تحت القواعد التي تتعلق بالقسم:

قاعدة: "لا يكون القسم إلا باسم معظم"[40]

أقسم الله في القرآن باسمه وببعض مخلوقاته. والقسم باسم الله أعظم ما يقسم به، لأنه جل شأنه تعالى ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الحديد: 3] وإقسامه تعالى ببعض مخلوقاته يدل على المنزلة المعظمة للمقسم به.[41]

قاعدة: "الحكم بتقدير قسم في كتاب الله دون قرينة ظاهرة فيه، فيه زيادة على معنى كلام الله بغير دليل"[42]

[39] انظر: سامي عطا حسن، أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم، ص: 54-55.

[40] خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير: جمعاً ودراسةً، دار ابن عفان – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1421هـ، 474/1.

[41] انظر: خالد السبت، قواعد التفسير، 474/1.

[42] انظر: خالد السبت، قواعد التفسير، 475/1.

تقدير القسم في القرآن بدون أدلة تدل عليه أمر مرفوض مردود، فيه تقول على الله بغير علم، والعياذ بالله. ذهب جماعة من العلماء في الآية ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71]أن فيها قسم مقدر واستدلوا على قولهم بحديث رسول الله ﷺ "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم".[43]

أجاب الشنقيطي (ت:1393هـ – 1973م) "بأن الآية لم تقترن بأداة من أدوات القسم ولا قرينة واضحة دالة على القسم، ولم يتعين عطفها على القسم، وتقدير القسم في كتاب الله تعالى دون قرينة ظاهرة فيه زيادة على معنى كلام الله بغير دليل يجب الرجوع إليه، أما الحديث من أساليب اللغة العربية التعبير بتحلة القسم عن القلة الشديدة وإن لم يكن هنالك قسم أصلاً".[44]

التعليق والتحقيق:

إن هناك نقصاً في القاعدتين يدل عليه العقل والعرف والشرع. فيمكن أن تكون الأولى كما يلي:

قاعدة: لا يكون القسم إلا بعظيم أو باسمه وبمعظم أو باسمه فيكون ممدوحاً ومحموداً ومشروعاً إذا كان بعظيم أو بمعظّم حقاً. أما إذا كان بعظيم أو بمعظم زوراً وبهتاناً فيكون مذموماً.

والقاعدة: المقدرات في القرآن تنقسم قسمين قسم يحتاج إلى قرينة ظاهرة فيه، وقسم يكفي فيه عدم مخالفته للكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة.

ثم إنه استدل عليه بما لا ينطبق عليه أو بما ليس فيه ما يدل على صحة دعواه.

لأن الواوِ في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: 71] تجوز أن تكون للعطف عطفت هذه الجملةَ على ما قبلَها. وتجوز أن تكون للقسم قال ابن عطية: "﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ﴾ قَسَمٌ، والواو تفتضيه، ويُفَسِّره قولُ النبي ﷺ: ((مَنْ ماتَ له ثلاثٌ من الولد لم تَمَسَّه النار إلا تَحِلَّة القسمِ))"[45].[46]

قال ابن عاشور (ت:1393هـ – 1973م) "ومن النّاس من لفق تعضيداً لذلك بالحديث الصحيح أنه ((لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النّار إلاّ تَحلة القسم)) [47] فتأول تحلة القسم بأنها ما في هذه الآية من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وهذا محمل باطل، إذ ليس في هذه الآية قسم يتحلل، وإنّما معنى الحديث إن من استحق

---

[43] أخرجه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ) في صحيحه، دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ، (كتاب الجنائز – باب فضل من مات له ولد فاحتسب)، 73/2.

[44] انظر: محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر – بيروت، 1415هـ - 1995م، 482/3.

[45] سبق تخريجه بلفظ مقارب لما أورده ابن عطية الأندلسي.

[46] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطيّة الأندلسي (ت: 546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ -2001م، 27/4.

[47] سبق تخريجه.

عذاباً من المؤمنين لأجل معاص فإن كان قد مات له ثلاثة من الولد كانوا كفارة له فلا يلج النّار إلاّ ولوجاً قليلاً يشبه ما يفعل لأجل تحلة القسم، أي التحلل منه. وذلك أن المقسم على شيء إذا صعب عليه بر قسمه أخذ بأقل ما يتحقق فيه ما حلف عليه، فقوله «تحلة القسم» تمثيل". [48]

لعله قال ذلك لكيلا يفتتن الناس بعقيدة فاسدة كعقيدة المعتزلة التي توجب على الله تنفيذ الوعد والوعيد وقد سبقه وشيخه إلى ذلك كثير من العلماء فمنهم أبو حيان.

ولنا أن نستخلص ما قلناه على صورة قاعدة فنقول:

قاعدة: القسم من أقسام الإنشاء إلا أنه قد يكون من أقسام الخبر، والقرائن هي التي تزيل ما فيه من الإبهام. وله معنى حقيقي: هو يمينٌ يُحْلِفُها الإنسانُ بما عنده معظم حقيقة أو اعتقاداً من الله تعالى وغيره ليربط نفسه بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه على سبيل التأكيد. وله معان أخر مجازية يرد عليها منها: التعجب.

المسألة السابعة: كون " الشرط " إنشاء غير طلبي يفيد العلاقة السببية أو التلازمية بين شيئين.

ويتفرع على هذا أنها تعد خبرية أو إنشائية باعتبار جوابها، فالبلاغيين عدّوا الشرط من أساليب الإنشاء منهم السكاكي (ت:626هـ – 1229م) والقزويني (ت:739هـ – 1339م) وابن الشحنة (ت:882هـ -1478م) في نظمه وغيرهم. وهو قريب من الخبر كالتمني، ولكنه إنشاء لدلالته على الاستقبال. وكثير منهم ينصون على دخول أدوات الشرط وأدوات النهي وأدوات الاستفهام في الإنشاء. لأننا إذا قلنا "إن نجح عمرو كافأته" كان لك الخيار أن تكافئه في حال نجاحه لا على كل حال.

وهذا يدل أن جواب الشرط هو الغرض من الجملة الشرطية، فعند تصنيف الجمل إلى خبرية أو إنشائية ينظر إلى جواب الشرط فتعد خبرية إن كان خبراً وإنشائية إن كان إنشاءً.

هذا وإن معنى الشرط يختلف من فن إلى فن ومن موضع إلى موضع:

فالشرط النحوي هو: "وقوع الشيء لوقوع غيره أو عدم وجود الشيء لوجود غيره". [49] يفهم من تعريفهم أن هناك علاقة سببية وتلازمية بين الشرط والمشروط، فأداة الشرط يتبعها فعله ثم جوابه أو جزاءه. وركنا الجملة الشرطية الشرط وجوابه هما فعلين متلازمين في الأصل يوقع أحدُهما بوقع الثاني.

[48] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م، 152/16.

[49] انظر: أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1376هـ - 1957م، 367/4.

والشرط اللغوي: هو "سبب يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم"[50] فإذا قال لزوجه: "إنْ خرجتي فأنت طالق" لزم من خروجها وقوع طلاقها ومن عدم الخروج عدمه، وهذا هو حقيقة السببِ عندكثير من العلماء. **والشرط العقلي أو العادي أو الشرعي**: "هو ما لا يلزم من وجوده شيء ويلزم من عدمه العدم".[51] مثاله في العقلي: العلم مع الحياة: فعقلا نحكم بانتفاء العلم إذا انعدمت الحياة، ولا نحكم بوجوده لوجودها. ومثال العادي: يلزم وجود السلالم للتمكن من الصعود للأعلى يلزم عدم وجودها عدم التمكن. ومثال الشرعي: الطهارة مع الصلاة لأنه يلزم من عدم الوضوء عدم الصلاة ولا يلزم من وجوده وجودها ثم قد تصح صلاة المتطهر وقد لا تصح.

إن وجود العلاقة السببية التلازمية في أساليب الشرط الدالة على ارتباط وقوع شيء لوقوع غيره لا ينطبق على كل أساليب الشرطِ اللغوي (التعاليق). فالأصل هو الارتباط وسواه خروج عنه.

والتحقيق: إن المعنى الأصلي للشرط هو ما قاله النحويون إلا أنه قد يخرج الشرط عن العلاقة السببية (التعاليق) أو عن العلاقة التلازمية فيكون على أسلوب الشرط اللغوي مثلاً كأن يقصد به طلب فعل على وجه الوجوب مثال: قال عز وجل:﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ﴾ [الأنفال: 66]. فالأمر هو المراد من الشرط.

ومن أمثلته قوله تعالى:﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ [الأعراف: 176] أسلوب إنشائي لا يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ولكنه يفيد العلاقة التلازمية بين شيئين. فهو إنشاء غير طلبي، لأن اللهث غير مرتبط سبباً بالحمل عليه، فهو يلهث على كل حال ويلهث من قبل أن تحمل عليه، فاللهث وإن كان جواب الشرط الجزائي لا مانع من تواجده زمنياً قبل فعل الشرط، بل يقع دائما ومن قبل الحمل عليه.

وقوله تعالى:﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: 32]هذا أسلوب إنشائي شرطي يفيد العلاقة التلازمية بين شيئين لأن الله لا يحب الكافرين على كل حال ومن قبل توليهم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُور رَّحِيم﴾ [البقرة: 191-192] هنا في الآية الأولى أسلوب إنشائي شرطي يفيد العلاقة السببية بين شيئين لأنه لا قتال في المسجد الحرام، إلا إذا هم قاتلوا، فينعدم الثاني بانعدام الأول. وفي الثانية أسلوب إنشائي شرطي يفيد العلاقة التلازمية بين شيئين لأن الله غفور رحيم على كل حال ومن قبل أن ينتهوا.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ ﴾ [آل عمران: 167] هذا أيضاً أسلوب إنشائي شرطي يفيد العلاقة السببية بين شيئين لأنهم علقوا الاتباع على تقدير العلم بوجود قتال ولما كان يعلموا بالقتال انعدم منهم

[50] شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المصري المشهور بالقرافي (ت: 684هـ)، نفائس الأصول في شرح المحصول، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م، 1333/3.

[51] القرافي، نفائس الأصول، 561/2.

الاتباع، وحكاية عدم العلم بالقتال منهم إما أن تكون على سبيل المكابرة والمكادية. أو على سبيل التخطئة لهم في ظنهم أن ذلك قتال في سبيل الله وليس كذلك وإنما هو إلقاء للنفوس إلى الهلاك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ﴾ [يوسف: 24]هذا أسلوب إنشائي شرطي يفيد العلاقة العنادية بين شيئين لأن فيه حرف شرط غير جازم لَوْلَا وهو حرف امتناع لوجود يدخل على جملتين فتمتنع الثانية منهما بسبب وجود الأولى. وامتنع همّ يوسف بالمعصية أصلاً لأن معرفة البرهان وقع قبل الهم، فإذن لم همَّ يوسف، بل استعصم وأخذ قراره فوراً.

ولنا أن نستخلص ما قلناه على صورة قاعدة فنقول:

قاعدة: الشرط قسم من أقسام الإنشاء إلا أنه قد يكون من أقسام الخبر والقرائن هي التي تزيل ما فيه من الإبهام. وله معنى حقيقي وهو: وقوع الشيء لوقوع غيره أو امتناع الشيء لوقوع غيره أو امتناع الشيء لعدم وقوع غيره لما بينهما من تلازم وسببية وله معان أخرى مجازية يرد عليها. منها الوجوب ذلك إذا كان لغويا أو خرج عن العلاقة السببية أو التلازمية.

المطلب الثاني: الإنشاء الطلبي وفيه مسائل. ويكون بالتمني والأمر والنهى والاستفهام والنداء.

قاعدة: الإنشاء الطلبي يكون بصيغ منها الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء. لا فرق بين أن تكون هذه الصيغ على معانيها الحقيقية أو المجازية. إلا أن الأَمر والنهى من أهم صيغ الإِنشاء لفظاً ومعنى. أما الأَمر فله معنى حقيقي هو طلب فعل بصيغتيه: (افعل) و(ليفْعل) يفيد الوجوب. وله معان أخر مجازية يرد عليها منها: الندب والإِباحة والدُّعاء والتهديد، والإِهانة والتسخير والتعجيز والامتنان والعجب والتسوية والإِرشاد والاحتقار والإِنذار والإِكرام والتكوين والإِنعام والتكذيب والمشورة، والاعتبار والتعجُّب، وأما النهي فله معنى حقيقي هو طلب ترك بصيغتيه: (لا تفعل) و(لا يفْعل) يفيد التحريم. وله معان أخر مجازية يرد عليها منها: الكراهة والدُّعاء والإِهانة والتسوية والإِرشاد والاحتقار والتقليل وبيان العاقبة.

الشرح: ههنا مسائل:

المسألة الأولى: المعنى الحقيقي للأمر:

قد تقدم أن الأصل في الأمر هو أن يكون للوجوب، أي وجوب إيجاد شيء لم يكن له وجود ساعة النطق بفعل الأمر على وجه الجزم مثل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: 190] فمضمون الأمر ب﴿وَقَاتِلُوا﴾ هو الوجوب.

فقعَّد النحويون أسلوب الأمر في صيغة فعل الأمر وحده درسوا حالات بنائه وارتباطه بالضمائر وبالحروف في هذه الحالات. فقال العلوي (ت: 745هـ - 1345م) في (الطِّراز) معرفاً صيغته: "هو صيغة تستدعي الفعل، أو

قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء"،[52] فالزمخشري (ت: 538هـ - 1144م) يعرف أسلوب الأمر بقوله: "طلب الفعل ممن هو دونَك وبعثُه عليه".[53]

وكذلك لم تختلف الدراسات البلاغية كلها في صيغ الأمر وأساليبه الحقيقية؛ فهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء من الأعلى إلى الأدنى على جهة الحقيقة والإلزام بفعله.

أما صيغته: فللأمر صيغ أربع وهي:

1. صيغة الأمر المعروفة:

هذه هي الأصل فمن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: 12] وقوله: ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ [الأعراف: 145] وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: 43] وقوله: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران :43].

2. الفعل المضارع المقرون بلام الأمر:

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: 7]وقوله: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾ [الحج: 29]فتفيد الأفعال المضارعة (ليُنْفق. ليوفوا. ليطوفوا) هنا معنى الأمر لاقتران لام الأمر بها تفي.

3. اسم فعل الأمر:

اسم يدل على ما يدل عليه الفعل، ولا يقبل علامة الفعل، وغالباً ما يأتي بصيغة واحدة. مع المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، إلا إذا لحقت به كاف الخطاب فيراعى المخاطب في الأحوال المتقدمة، مثل: (عليكَ، دونكَ، رويدكِ)، وقوله تعالى: ﴿هاؤم اقرؤوا كتابِيَهْ﴾ [الحاقة: 19] أي خذوا، ﴿هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: 112]

4. المصدر النائب عن فعله:

لفظ دال على لحدث غير مقترن بالزمن؛ متضمن أحرف فعله لفظاً، قال عز وجل:﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانا ﴾ [البقرة: 83] فبناء على أن المصدر قد ينوب عن فعل الأمر فقلنا إن لفظ ﴿إِحۡسَانًا﴾ هنا بمعنى "أَحْسِن".

[52] يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت: 745هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ، 155/3.

[53] الزمخشري، الكشاف، 121/1.

"وإذا كان الأمر الحقيقي يُلقى على وجه الاستعلاء فإن الأمر المجازي لا يشترط منزلة الاستعلاء بين المتكلم والمخاطب أو بين الآمر والمأمور... فقد يكون الآمر أدنى منزلة ويستعمل صيغة الأَمر... ولهذا قيل: إنه ليس على الوجه الحقيقي للأمر وقد أوضح ذلك السكاكي" [54]في (مفتاح العلوم) ومن جاء بعده.

المسألة الثانية: المعاني المجازية للأمر.

هذا وإن الأمر يستعمل فيما يقرب من خمسة وعشرين معنى مجازياً منها:

"التعجيز: كما في قوله تعالى مخاطباً منكري البعث: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ [الإسراء: 50].

والإهانة: كما في قوله تعالى﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49]. ويمكن أن يحمل على معنى التبكيت.

والإرشاد: المستعمل فيه النهي كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ [البقرة: 282].

والدعاء: المستعمل فيه النهى كما في قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ [البقرة: 286].

والالتماس: المستعمل فيه النهى كما في قوله تعالى حكاية عن قول هارون لموسى عليهما السلام: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه: 94].

وبهذا يتبين لنا أن القرآن استخدم أسلوب الأمر في معان مجازية، مفعمة بالإيحاءات البيانية، لإقرار الحق وإظهاره، ودحض الباطل والتنفير منه.[55]

المسألة الثالثة: المعنى الحقيقي للنهي:

النهي: خلاف الأمر يقال: نهاه، ينهاه، نَهْياً؛ فانتهى وتناهى أي: كفَّ.[56] والنهي يكون بصيغة الفعل المضارع المقترن بلا الناهية؛ نحو: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف:31] أو بالجملة الدالة على ذلك، نحو: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:3]. وإذا كان الأمر يدل على إرادة الآمر، فإن النهي يدل على كراهية مَنْهيّهِ. والنهي هو طلبُ المتكلم الجازم ترك فعل شيءٍ ما من المخاطب على جهة الاستعلاء على سبيل الحقيقة أو المجاز. أي أن أسلوب النهي ينقسم لقسمين نهي حقيقي ونهي مجازي.

---

[54] انظر: حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص: 106. ومجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص:450.

[55] مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص:450-451. (بتصرف يسير).

[56] انظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، 1407هـ -1987، مادة (نهى)، 2517/6.

النهي الحقيقي:

طلب الكَفِّ الجازم عن شيءٍ ما حقيقة على جهة الاستعلاء المادي والمعنوي من الأعلى إلى الأدنى لتنفيذه على وجه الحرمة والتحريم. مثل قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ [آل عمران: 130]مضمون النهي بـ ﴿لا تَأْكُلُوا﴾ هو الحرمة.

وصيغة النهي هذه تفيد تشريعاً في الأمور كلها دينية كانت أم دنيوية وتجعلها منهية لاسيما النواهي الاعتقادية الدينية. أو تفيد تشديد الرغبة في وقوع فعل على هيئة معينة في صورة النهي كما انتهى إليه الزمخشري (ت: 538هـ -1144م).

ومن ذلك خطاب الله تعالى للنبي ﷺ:﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَد مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ ﴾ [التوبة: 84] فهذا خطاب ينهى فيه الله عز وجل النبي عليه السلام عن الصلاة على أحد من الكفار أو المنافقين.

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلا﴾ [الإسراء: 110]. يبين الله كيفية هيئة الصلاة بحيث لا تكون جهرا ولا سرا فلم يكن النهي عن الصلاة، إنّما عن أن الصلاة بصوت جهور أو خافت. ومثله قوله تعالى: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء: 43].

ومن النواهي الدنيوية قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَة مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالا﴾ [آل عمران: 118] فهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين من أن يتولوا من ليس بقادر على نصحهم .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الأنعام: 152] وقوله: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: 56] وقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ [الحجرات: 12]

النهي المجازي: هو طلب المتكلم الكفّ الجازم عن شيء مجازاً على سبيل الاستعلاء المادي والمعنوي من الأعلى مكانة وشأنا إلى الأدنى مكانة وأقل شأنا.

المسألة الرابعة: المعاني المجازية للنهي.

هذا وإن النهي أيضاً يُستعمل فيما يقرب من خمسة وعشرين معنى مجازياً منها:

الدعاء: هو طلب فعل من الأدنى لمن هو أعلى على وجه الخضوع والاستكانة؛ كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾ [البقرة: 286]. وفي هذا رغبة إلى الله والتوسل إليه.

الالتماس: ما كان بين اثنين متساويين في المكانة، مثل الأصحاب والأقران، كما في قوله تعالى حكاية عن هارون عليه السلام في خطابه لموسى عليه السلام: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ ﴾ [طه: 94].

النصح أو الإرشاد: إذا قصد من النهي نصح لا إلزام فيه؛ والإرشاد؛ لا إيجاب فيه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾ [البقرة: 282]] و﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: 101].

التأديب: وهو ضرب شبيه بالسابق لكن الغاية منه تأديب السامع وإرساء خُلُق كريم أو النهي عن سلوك سيئ لا مجرد النصْح؛ كما في قوله: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141] ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [البقرة: 168] فالمراد من النهي هنا تعليم أدب واحترام.

تبيان العاقبة: ما كان النهي فيه لتوضيح مصير أو بيان عاقبة، مثل الظلم والغفلة والنفاق كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ [آل عمران: 169] بيان أن عاقبة الجهاد في سبيل الله هي الخلد في جنات النعيم عند الله عز وجل وان الموت الظاهر الظاهر ليس إلا سبيل للانتقال لحياة الخلد هذه. وقوله عز وجل: ﴿لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدا﴾ [القصص: 9] صرفتهم عن قتله بأن بينت لهم عاقبة الإبقاء عليه ورجاءها أن تتخذه ولداً أو يكون به منفعة لهم إن رُبي بينهم واكتسب معتقداتهم.

التهديد والتحذير: أي النهي المتضمن للتوعد والزجر: ويكون غالباً لمن يعاند بشيء ما، أو يخالف قول الحق، ولا ينزجر... كقولنا للخادم: (لا تستمع لأَمْري) و(لا تذاكر واجباتك).

المدوامة والاستمرارية: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ [إبراهيم: 42]، المراد التنبيه إلى دوام عدم الغفلة: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا﴾ [القصص: 88] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: 14] أي دم على ذلك.

التيئيس: وهو النهي الذي يكون فيه طلب كف المخاطب عن محاولة القيام بعمل لا يقدر عليه ولا هو أهل لإنجازه وذلك من وجهة نظر المتكلم. كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: 66]والمعنى المراد من النهي هنا مستعمل في تيئيس الكافرين ببيان عدم وجود جدوى في اعتذارهم التسوية بين اعتذارهم وعدم اعتذارهم.

المسألة الخامسة: المعاني الحقيقية والمجازية للاستفهام وإنشائيته.

إن الاستفهام: هو من أنواع الإنشاء الطّلبي بل أحد أكثر الأساليب الإنشائية استعمالا وأهمية. والأصل فيه طلَبُ الفهم وإفْهامِ الْمُستَفْهِم وإعْلاَمِه لتَحْصِيلِ فائدةٍ عمليّةٍ مجهولةٍ لدَيه أو للسؤال عن أمر ما وطلب الإخبار، ويصاغ الاستفهام بأدوات مخصوصة، من حروف وأسماء، إضافة للمعنى الاستفهام المشترك بينها جميعها. لكل منها معناه الخاص، واستعمال هذه الأدوات يكون وفق القواعد النحوية التي حددها اللغوية حيث والجهل بها يوقع حتما في الخطأ عند تركيب الجمل الاستفهامية، وبالتالي حدوث خلل في العملية التواصلية.

والأصل في الاستفهام كما قدمنا هو أن يكون لإعلام المستفهم أمراً يجهله إلا أنه وقَد يقصد به أغراض أخرى، ويظهر المعنى المقصود من خلال النظر للقرائن القولية أو الحالية. بل هو أكثر الأساليب الإنشائية خروجاً عن معانيها اللغوية إلى معان مجازية في القرآن الكريم، وقد ورد منه أكثر من 1260 صورة.

وصوره في القرآن قسمان:

قسم صادر عن الله عز وجل: غير محكي عن غيره. وكل صور هذا القسم مجازية؛ لأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فهو منزه عن أن يستفهم طالبا فهم ما لم يفهمه. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1] لأن المراد من الاستفهام هنا المعنى المجازي الذي خرج إليه هو إظهار فضل الله وتكريمه لمحمد ﷺ وقيل للتقرير.

وقسم صادر عن غيره تعالى وحكاه القرآن: وهذا القسم لا تكاد ترى فيه استفهاماً حقيقياً إلا نادراً. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: 62] على رأي أي على احتمال كونهم أنهم ما كانوا يعلمون أن إبراهيم عليه السلام فعله. وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: 91]والمعنى المجازي الذي خرج إليه هو: الأمر، أي: انتهوا. وقوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: 32]والمعنى المجازي الذي خرج إليه هو: التقرير. قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: 26] والمعنى المجازي الذي خرج إليه هو: التعجيز وإقامة الحجة لله على العباد. وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: 17] والمعنى المجازي الذي خرج إليه هو الحث والترغيب. وقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 17] والمعنى المجازي الذي خرج هو إيناس موسى عليه السّلام. وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ ﴾ [البقرة: 255] والمعنى المجازي الذي خرج إليه هو الإنكار على المخاطب. وقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6] والمعنى المجازي الذي خرج إليه هو التسوية. وقوله: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان: 15]والمعنى المجازي الذي خرج إليه هو التقرير والإنكار معا بحسب جملتي الاستفهام. وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنا ﴾ [الفرقان: 45] والمعنى المجازي الذي خرج إليه هو التعجيب. وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: 6] والمعنى المجازي الذي خرج إليه هو التهويل. الخ. ولنا أن نستخلص ما قلناه على صورة قاعدة فنقول:

قاعدة: الاستفهام من أقسام الإنشاء. وله معنى حقيقي وهو: إعلام المستفهم أمرا هو يجهله بحروف مخصوصة وله معان أخر مجازية منها: التهويل والتعجيب والتعجيز والتقرير والأمر.[57]

المسألة السادسة: المعاني الحقيقية والمجازية للتَمني وإنشائيته.

إن الأصل في التمني: هو ما لا يترقّب حصوله ولا يُرجى تحققه وتحقيقه ولا يكون لصاحبه طمع مما هو مستحيل ومحبوب سواء أكان طلبُ حصول هذا الشيءِ مستحيلاً أم بعيداً صعب المنال. والألفاظ التي يتمنى بها هي: ليت، هل ولعل ولو. إلا ان اللفظ الذي يدل بأصل وضعه اللغوي على التمني هو: ليت، أما ما عداه من الألفاظ فيتمنى بها لغرض بلاغي لإبراز المتمني بعيد المنال ولإظهاره بصورة القريب المرجى حصوله، لشدة الرغبة به والتشوق لحصوله. مثاله: حكاية القرآن عن رغبة الكفار بالرجوع للدنيا: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: 11] ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9]. ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ [هود:

[57] انظر: حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص: 136.

80] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: 36-37].

ولأغراض بلاغية يستخدم (ليت) في الرجاء لإبراز المرجو الممكن وتشبيهه بالمستحيل بعيد المنال.

وإن هناك أهدافاً للتمني منها: تحويل الانتباه من أمر على آخر إثارة للدهشة وحثاً للتفكير والنظر وإشعار المخاطب بعزة المتمني وندرته. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 102].

وقد حاول البلاغيون معرفة الدلالة الحقيقية لأسلوب التمني؛ وذكروا ما تَبين لهم من المعاني المجازية التي خرج إليها وقسموه إلى قسمين: التمني المستحيل والتمني بعيد الوقوع. وفرقوا بينهما، وإن كان كلاهما لا يرجى حصوله... فقالوا إن التمني المستحيل: هو طلب أمر مرغوب فيه أو محجوب لا يرجى حصوله لكونه متعذر الوقوع. ومنه حكاية القرآن عن المنافقين المتخلفين عن المؤمنين: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 73] وحكايته عن الكافر يوم القيامة: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: 40].

التمني بعيد الوقوع: طلب حدوث أمر محبب ممكن الحدوث ولكنه صعب المنال مستبعد الحصول غير متوقع، فشابه المستحيل؛ ومنه حكاية القرآن عن ضعاف النفوس لما رأوا كنوز قارون: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ ﴾ [القصص: 79]

ولنا أن نستخلص ما قلناه على صورة قاعدة فنقول:

قاعدة: لا شك أن التَمني من أقسام الإنشاء. وله معنى حقيقي وهو: طلب حصول شيء وقوعه مستحيل على سبيل المحبة. بصيغه: ليت ولعل وهل. وله معنى مجازي وهو: طلب حصول شيء ممكن وقوعه بعيد أو قريب غير متوقع على سبيل الخوف والرجاء والمحبة والإشفاق.[58]

المسألة السابعة: المعاني الحقيقية والمجازية للتَرجي وإنشائيته.

إن الأصل في الرجاء والترجّي هو طلب ما يراد ويرجى ويترقّب تحققه وتحقيقه مما هو ممكن ومحبوب غير مستحيل سواء أكان طلبُ حصول هذا الشيءِ سهلاً أم صعباً. كقوله عز وجل: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: 1]، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: 22].

وقيل: هو يكون مع بذل الجهد، وحسن التوكل خلافاً للتمني لأنه يكون مع الكسل، والتواكل لا يسلك صاحبه طريق الجد والاجتهاد.[59]

وبعبارة أخرى: هو طلب وترقب حصول شيء ممكن محبوب قريب الوقوع على سبيل المحبة. بصيغتيه: لعل وعسى حقيقة وليت على أنها مجاز فيه. وله معنى مجازي وهو: طلب حصول شيء ممكن قريب الوقوع على سبيل الخوف والإشفاق.

---

[58] انظر: حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص:168.

[59] انظر: محمد أبو زهرة (ت:1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي – القاهرة، 2016، د ت، 3157/6.

نقل القرافي رحمه الله تعالى (ت: 684هـ -1285م) في «الفروق»، الإجماع على أن "الترجي إنشاء، وفرق بينه وبين التمني بأنه في الممكن والتمني فيه وفي المستحيل، وبأن الترجي في القريب والتمني في البعيد، وبأن الترجي في المتوقع والتمني في غيره، وبأن التمني في المعشوق للنفس والترجي في غيره".[60]

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى (ت:911هـ -1505م): "وسمعت شيخنا العلامة الكافيجي (ت:879هـ -1474م) يقول: الفرق بين التمني وبين العرض، هو الفرق بينه وبين الترجي".[61]

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام لأهله: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ [طه: 10].

"هذا وقد اضطرَب كلام العلماء في الأداة "لعلَّ" الواقعة في كلام الله تعالى وذلك لاستحالة تَوَقُّع وتَرَقُّب الشيء غير الموثوق بحصوله ووقوعه في حَقِّه تعالى؛ لأنَّ علمَه مُحيطٌ بكلِّ شيءٍ. فقال بعض العلماء: إن "لعلَّ" في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران: 132] تفيد معنى التعليل أي لتُرحَموا. وأنها في قوله تعلى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: 3] تفيد معنى الاستفهام على رأي الكوفيين أي: وما يُدريك أيَزَّكَّى؟ والمعنى: وما يُدريك جواب هذا السؤال؟ وكلُّ شيء في القرآن الكريم ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾، فلم يدره، وكلُّ شيء فيه ﴿وَمَا أَدۡرَىٰكَ﴾، فقد أدْرَاه".[62]

هذا وقد ادعى الدكتور فضل عباس (ت:1432هـ - 2011م) أن الترجي من أقسام الإنشاء غير الطلبي فقال: "أن ما استقر عند بعض الناس من أن التمني طلب المستحيل، والترجي طلب الممكن؛ خالٍ من الدقة؛ لأن التمني قد يكون لغير المستحيل هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الترجي ليس طلباً، وإنما هو ترقب حصول الشيء لذلك لم يعدوه من الإنشاء الطلبي. إذن التمني طلب الشيء المحبوب، وقد يكون ممكناً، وقد يكون مستحيلاً، فالنفس كثيرا ما تطلب المستحيل، فإذا كان الشيء المتمنى ممكناً، فيجب ألا يكون مما تتوقعه نفسك؛ لأنك إذا توقعته كان ترجياً. فإذا قلت: ليت لي دارا فينبغي ألا تكون متوقعاً لما تتمناه؛ لقلة ذات اليد، ولكثرة التكاليف وغيرها من الأسباب، وهذا أمر ممكن غير مستحيل، لكن صعوبة تحققه تجعلك غير متوقع له. أما إذا كانت الأسباب مهيأة لك، وكنت تتوقع الحصول على تكاليف هذه الدار فإنك تستعمل لعل، فتقول: لعل لي داراً".[63]

---

[60] انظر: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المصري المشهور بالقرافي (ت: 684هـ)، كتاب الفروق المسمى بـ أنوار البروق في أنواء الفروق، عالم الكتب – بيروت، د ت، 27/1.

[61] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص:583.

[62] انظر: أحمد عيد عبد الفتاح حسن، "لعل" في كلام الله تعالى https://www.alukah.net/sharia/0/36984

[63] فضل حسن عباس (ت: 1432هـ)، البلاغة فنونها وأفنانها: علم المعاني، دار الفرقان – إربد، الطبعة: الرابعة، 1417هـ -1997م، ص: 156-157.

والتحقيق: إن الترجي من أقسام الإنشاء الطلبي فإذا كان ما نطلبه شيئا محبوبا ممكنا قريب الحصول مترقب الوقوع وأيقنا في قرارة نفسنا بالحصول عليه ولو بعد حين كان ترجّياً. وإذا كان ما نطلبه شيئا محبوبا مستحيلا أو بعيد الحصول غير مترقب الوقوع ولم نوقن في قرارة نفسنا بالحصول عليه ولو بعد حين كان تمنياً. ولذا قيل: إن لعل للترجي والإشفاق فالترجي: هو توقع الشيء المحبوب أو توقع في المحبوب. والإشفاق: هو توقُّع الشيء المكروه أو توقع في المكروه والمخوف كما في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِع نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6] المعنى لعلك مهلك نفسك لشدة حزنك على عدم إيمانهم فأشفق عليها.

وأمَّا قول فرعون: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا ﴾ [غافر: 36-37] وقوله: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: 38]. فقد استخدم فرعون الأداة (لَعلَّ) رغم استحالة اطلاعه على ما تمنى لكن غروره صور له ذلك في دائرة الممكنات.

ومن ثم نقول إن هناك فرقا بين كون الترجّي حقيقيا أو إضافيا وبين كونه ترجيا لذاته أو لغيره. وكذلك الأمر في التمني لأنه ينحرف إلى طلب أمر مرغوب فيه ممكن التحقق لكن لغير المتمني لسبب ما، وعندما غاب عنه هذا حرص على طلبه وتلهف للحصول عليه، فالتركيب الذي استخدمه الكفار وطلبعم ما يستبعد عنهم لعدم امتلاكهم أسبابه بقولهم: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾ [الأعراف: 53]. بني على أسلوب يراد به التمني لا على معنى الاستفهام حقيقة.

وأنَّ معنى "لعلَّ" في القرآن الكريم كما قال سيبويه (ت:180هـ -797م): "هو الترجّي أو الإشفاق باعتبار حال المخاطبين، فهما متعلقان بهم؛ لأنَّ الأصل ألاَّ تخرج الكلمةُ عن معناها بالكلية، فـ "لعلَّ" منه تعالى حملٌ لنا على أن نترجى أو نشفقَ، وحَثٌّ لنا على ذلك، كما أنَّ "أو" المفيدة للشك إذا وقعَت في كلامه تعالى، كانت للتشكيك أو الإبهام على السامع، لا للشكِّ، تعالى الله عن ذلك. ولذا قيل: إنَّ "لَعَلَّ" في حق الله تُفيد تحقيق مضمون الجملة التي بعدها ووقوعه".[64]

هذا وأنَّ "لَعَلَّ "ورددت في عدة آيات في القرآن الكريم على معان متنوعة فلا مانع من أن نحملها على أحد المعاني المتعددة دون سواها، ما دام سياق الآية وما احتفت به من قرائن يدل عليه. والوقوف عند أحد المعاني دون سواه فليس مما نقبله ونرتضيه لأنه يُوقعُ في خطأ كبيرٍ، وإثمٍ عظيمٍ.

ومع ذلك لو أردنا أن نقتصر على أحد الآراء المتقدمة والاكتفاء به واعماله في جميع الآيات، لاكتفينا بأقواها وأولاها بالقبول وهو رأي سيبويه. إلا أنه يحتاج إلى تأويل، وما لا يحتاج إلى تأويلٍ أَوْلَى مما يحتاجه.

ولنا أن نستخلص ما قلناه على صورة قاعدة فنقول:

[64] انظر: حسن العطار (ت: 1250هـ)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية – بيروت، د ت، 362/1.

قاعدة: لا شك أن الترجي من أقسام الإنشاء. وله معنى حقيقي وهو: طلب حصول شيء ممكن وقوعه قريب ومتوقع على سبيل المحبة. بصيغتيه: لعل وعسى. وله معنى مجازي وهو: طلب حصول شيء وقوعه بعيد أو قريب على سبيل الخوف والإشفاق.

قاعدة: لا شك أن الإشفاق من أقسام الإنشاء. وله معنى حقيقي وهو: توقع حصول شيء مكروه ممكن وقوعه قريب ومتوقع على سبيل الخوف. وله معنى مجازي وهو: توقع حصول شيء مكروه وقوعه بعيد أو غير متوقع على سبيل الخوف.

المسألة الثامنة: المعاني الحقيقية والمجازية للنداء وإنشائيته.

النداء لغة: التصويت والدعاء؛ واصطلاحاً: طلب إقبال المدعو (المخاطب) على الداعي(المتكلم) لأمر ما بحرف يقوم مقام فعل النداء (أدعو) ويتضمن معناه. وله ثمانٍ أدوات: (يا ـ أ ـ أي ـ آ ـ آي ـ هيا ـ أيا ـ وا) منها ما هو للبعيد ك "يا وأيا " أو للبعيد المتوسط ك "يا" على رأي ومنها ما هو للقريب ك "أ" ومنها ما هو للبعيد وللقريب. ولم ترد منها في القرآن إلا اثنتان هما "يا، أ".

وغالبا ما يتقدم النداء على الأمر أو النهي إذا اجتمعا نحو: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: 64]﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: 77] ويجوز تأخيره مثل: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: 31].

وإذا اجتمع النداء مع جملة خبرية فقد تتبعها جملة أمر، مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ [الحج: 73] وقد لا تتبعها، مثل: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الزخرف: 68]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: 15].

وقد يصاحبه الاستفهام، مثل: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: 42].

والأصل في النداء أن يكون لطلب الإقبال المادي الحسي ومثاله في القرآن الكريم قول الله لموسى عليه السّلام: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ [القصص: 31].

والمنادى في القرآن الكريم باعتبار لفظه أربعة مجموعات.

الأولى: نداء أفراد، مثل: يا آدم. الثانية: نداء مثنى، وهو نادر، مثل: يا صاحبي السجن.

الثالثة: نداء جماعات مخصوصة، مثل: يا قوم يا أيها الذين آمنوا. الرابعة: نداء جماعات عامة شاملة، مثل: يا أيها الناس.

ولكل مجموعة من هذه المجموعات الأربعة غرض خاص يناسب نداءها في دقة وإحكام. فمثلا يا أَيُّهَا النَّاسُ يأتي عقب ندائها أمر عام يشمل جميع أفراد المنادى. كما جاء في مطلع سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: 1] لأن المخاطبين بالنداء–هنا–ينطبق عليهم هذا الوصف أعني الخلق من نفس واحدة. أما نداء الذين آمنوا فلا يأتي بعده إلا أمر خاص بالإيمان، وتابع له. مثل قوله تعالى في مطلع

سورة الحجرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: 1] فالتزام الأدب والإذعان بين يدي الله ورسوله أمر خاص بالمؤمنين.

والمنادى في القرآن الكريم باعتبار العقل قسمان:

الأول: نداءات العاقل كما في: ﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ [المؤمنون:51] وهو أشرف نداءات القرآن الكريم ومثله يا أَيُّهَا النَّبِيُّ ثم مناداة الرسل المفردة يا إِبْراهِيمُ، يا نُوحُ، يا عِيسى. ويلي هذا النداء في الشرف: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، يا عِبادِيَ.

الثاني: نداءات غير العاقل كما في قوله تعالى: ﴿يا جِبالُ﴾ [سبأ: 10]، ﴿يا أَرْضُ﴾ [هود:44]﴿يا سَماءُ﴾ [هود:44] ﴿يا أَيُّهَا النَّمْلُ﴾ [النمل:18].

والأصل في النداء أن يكون لطلب إقبال ما هو مادي وحسي وبعيد أو قريب من العقلاء ويكون مجازاً في غير ذلك. والأصل في "يا" أن تكون لطلب إقبال ما هو مادي وحسي وبعيد من العقلاء ويكون مجازاً في غير ذلك. والأصل في "أ" أن تكون لطلب إقبال ما هو مادي وحسي وقريب من العقلاء ويكون مجازاً في غير ذلك. أما النداء في القرآن فقد خرجت نداءاته إلى المعاني المجازية من طلب الإقبال المادي الحسي البعيد أو القريب أو من غير العقلاء لا سيما إذا كانت صادرة عن الله عز وجل.

فمنها: طلب الإقبال الذهني المعنوي كقوله عز شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾ [البقرة: 178] ذلك لتفرُغَ أنفس المنادين من كل الشواغل لتلقي ما يتلى عليها فتعيه أكمل وعي. وهكذا كل معاني القرآن الكريم من نداءات.[65] والتحقيق: إن هذا موجود هو وأمثاله.

ومنها: إظهار الحرْص في وقوعه على إقبال المدعوّ، نحو: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ﴾ [القصص: 31] والمنادى هنا "موسى" هو قريب مكانا ومكانة وبعيد منزلة ومكانة أما أنه قريب مكانا وحكما بعلمه وقدرته ورحمته فلأن الذي ناداه ربه وهو قريب بل أقرب إليه من حبل الوريد والسموات والأرض وما فيهما ومن فيهما مطويات بيد قدرته أما أنه قريب مكانة فلأنه لمن المصطفين الأخيار الذين لهم الزلفى. وأما أنه بعيد مكانة ومنزلة فلأنه لمن المصطفين الأخيار الذين لهم الدرجات الأولى.

ومنها: كون من ينادى ويخاطب معتنىً به، نحو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: 21] والمنادى هنا "ٱلنَّاسُ" هم قريبون حكما أو مكانا ومكانة وبعيد منزلة ومكانا أما أنه قريب مكانا وحكما بعلمه وقدرته ورحمته فلأن الذي ناداهم ربهم وهو قريب بل أقرب إليهم من حبل الوريد هم وما يعملون وأزمنتهم وأمكنتهم مطويات بيد قدرته تتلاشى فيها النسب الزمانية والمكانية أما أنهم قريبون مكانة فلأن الله جعلهم قريبين من رحمته ونصرته وفضله وإحسانه. وأما أنهم بعيدون مكانة ومنزلة فلأن الله كرمهم وفضلهم على كثير ممن خلق وجعل لكل واحد من أنبيائهم مكاناً علياً.

[65] انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص:151.

وقصد تعظيم شأْن من يخاطب وينادى مثل الدعاء: يا رب، فقال عز وجل: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾ [البقرة: 186]. والمنادى والمدعو هنا "رب" هو قريب حكماً أو مكاناً ومكانةً وبعيد منزلة ومكانة. أما أنه قريب مكاناً وحكماً بعلمه وقدرته ورحمته فلأن الذي نناديه ربنا وهو قريب بل أقرب إلينا من حبل الوريد نحن وما نحن فيه وعليه من أزمنة وأمكنة وغيرها مطويات بيد قدرته تتلاشى فيها النسب الزمانية والمكانية. وأما أنه قريب مكانة فلأن الله جعلهم قريب بعلمه ورحمته ونصرته وفضله وإحسانه. وأما أنه بعيد مكانة ومنزلة فلأنه يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار والأفهام يجير ولا يجار عليه.

ومنها قصد تحقير وانحطاطه شأْن من يخاطب وينادى: نحو قول فرعون عليه اللعنة فيما حكى الله عنه: ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورا﴾ [الإسراء: 101] والمنادى والمدعو هنا "موسى " هو قريب حقيقةً وحكماً.

ومنها: نداء ما لا يُنادى أي غير العاقل لتعظيم شأْنه وللتنبيه عليه إلخ كما في قوله تعالى: ﴿يا جِبالُ﴾ [سبأ: 10]، ﴿يا أَرْضُ﴾.

قال السيوطي (ت:911هـ -1505م) وقد ترد صورة النداء لغيره مجازاً ومن معانيها المجازية.[66]

التعجُّب: كقوله: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس: 30] لا إشكال في هذا المثال.

والتحسُّر: كقوله: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: 40] لا إشكال في هذا المثال أيضاً.

والاختصاص: كقوله: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: 73] لا يتأتى أن يكون هذا مثالا لنا إلا على قول الزمخشري (ت: 538هـ -1144م) حيث جوز "نصبه على النداء، وقدمه على احتمال النصب على الاختصاص".[67] لأنه قد ذهب كثير من المعربين إلى أن ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ منصوب على المدح أو الاختصاص. لعل السيوطي (ت:911هـ -1505م) أراد بذلك ان النداء هنا ب "يا" المحذوفة يفيد المدح أو الاختصاص.

والتنبيه: كقوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ [النمل: 25] وفي هذا إشكال يسير لأنه لا يتأتى هذا إلا على قراءة ابن عباس وأبي جعفر والزهري والسلمي والحسن وحميد والكسائي ﴿أَلا﴾ بالتخفيف على أنها للاستفتاح ويا حرف نداء والمنادى محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا. ووقف الكسائي في هذه القراءة على ياء اختيارا وابتدأ ب "اسجدوا".[68]

الإغراء والتحذير: وكلاهما في قوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: 13] في هذا إشكال كبير. لعله أراد بذلك أن هنا نداء ب "يا" المحذوفة يفيد الإغراء والتحذير إلى غير ذلك.[69]

والخلاصة:

---

[66] انظر: السيوطي، الإتقان، 282/3.

[67] انظر: الزمخشري، الكشاف، 409/2.

[68] انظر: الزركشي، البرهان، 325/2.

[69] انظر: ابن عطية الأندلسي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 25/6.

لا شك أن "يا" أم في باب أدوات النداء لذا لها خصائص لا توجد في غيرها ويجوز لها ما لا يجوز لغيرها فمنها جواز حذفها مع بقاء ندائيتها كما في: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ [يوسف:29]

لا شك أن الأَصل في "يا" أَن تكون للنداء البعيد أو البعيد المتوسط حقيقة أَو حكماً ومكانا أو مكانة، وقد ينادَى بها القريب لنُكتة. فيكون معناها حقيقيا إذا كانت لطلب إقبال ما هو مادي وحسي وبعيد ويكون مجازا في غير ذلك.

لا شك أن القول بأنه لم يرد في القرآن نداء بغير "يا" يحتاج إلى تحقيق. لأنه قد ورد النداء ب "أ" قوله: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر: 9] على قراءة الحَرميَّين: نافع وابن كثير بتخفيف الميم، والثاني. و " مَنْ " منادى، والمقصود به رسول الله عليه السلام، وهو المأمورُ بقولِه: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: 9] كأنما قصد قول: يا مَنْ أنت قانِتٌ قل هل يستوي.

"قال الزمخشريّ (ت: 538هـ - 1144م) وغيره: "كَثُر في القرآن النداءُ بـ (يا أيها) دون غيره؛ لأَن فيه أَوجهاً من التأْكيد، وأَسباباً من المبالغة: منها: ما في (يا) من التأْكيد والتنبيه، وما في (ها) من التنبيه، وما في التدرُّج من الإبهام في (أَيّ) إلى التوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتأْكيد، لأَن كلَّ ما نادى له عباده من أَوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره، ووعْده ووعيده، ومن اقتصاص أَخبار الأُمم الماضية وغير ذلك، وممَّا أَنطق الله به كتابة أَمور عظام، وخطوبٌ جسام، ومعانٍ واجب عليهم أَن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلون، فاقتضى الحال أن ينادَوْا بالآكد الأبلغ".[70]

ولنا أن نستخلص ما قلناه على صورة قاعدة فنقول:

قاعدة: لا شك أن النداء من أقسام الإنشاء. وله معنى حقيقي وهو: طلب إقبال المدعوّ على الداعي بحرف ك " يا أو أ " النائب مناب "أَدعو". وله معان أخر مجازية يرد عليها منها: الإغراء والتحذير والاختصاص والتنبيه والتعجُّب والتحسُّر[71].

قاعدة: الأَصل في (يا) أن تكون لنداء البعيد، حقيقة أَو حكماً، وربما ينادَى بها القريب لأغراض بلاغية، مثل: إظهار الحرْص والاعتناء وقصد الانحطاط. والسر في مجيء النداءُ بـ (يا أيها) في القرآن هو تضمنها التأْكيد، وأَسباباً من المبالغة. أما الهمزة (أ) فلم ترد نداء، إلا مرة على قراءة ولم ينادِ بها في القرآن إلا النبي ﷺ تشريفاً وتعظيماً.

[70] السيوطي، الإتقان، 283/3.

[71] انظر: حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص: 178.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

النتائج:

الاستفادة من الكلام يقتضي تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء. أما ما عداهما فيندرج تحتهما ولو من وجه.

لا مانع لدينا أن يقال إن الخبر يحتمل الصدق والكذب إلا أن التحقيق يقتضي أن نقيد التعريف ببعض القيود منها لذاته وبغض النظر عن قائله لتنزيه خبر الله ورسله من الاحتمالات المردية. أما الإنشاء فيحتاج إلى شيء من تحقيق قليل.

لا يفهم الخبر ولا الإنشاء كما ينبغي إلا إذا فهمنا ما يندرج تحتهما في ضوء المعاني الحقيقية والمجازية.

الأصل أن تكون الإفادة بما وضع لها إلا أنه قد تكون الإفادة بغير ما وضع لها أقوى وآكد.

الأصل في البحث أن تكون الإحالة إلى ما تقدم لكن لا مانع أن تكون إلى ما يأتي إذا اقتضى الأمر ذلك. كما أحال السيوطي بقوله: "وسيأتي بسط الكلام فيه في النوع السابع والستين".

التوصيات:

أنصح أن يكون اهتمامنا بعلوم القرآن وأصول التفسير في المؤلفات التفسيرية. وأنصح أن نقتصد في التأليف وفي الكلام فيه معا وأن نهتم بالكيفية لا بالكمية. لأن كثرة التأليف وكثرة الكلام فيه من أسباب ضياع العلم. ولأن الأصل عند الناس جميعا عربا وعجما الإيجاز والاختصار وعدم التكرار ولا يعدل عن ذلك إلى الإكثار والتطويل والتكرار إلا لنكتة وحكمة.

المصار والمراجع:

القرآن الكريم.

الكتب:

ابن عقيلة المكي (ت: 1150هـ)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، تحقيق: مجموعة من المحققين، جامعة الشارقة – الإمارات، الطبعة: الأولى، 1427هـ.

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى: 395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ -1997م.

أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، 1394هـ -1974م.

أبو الفضل شهاد الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ -1994م.

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، صحيح البخاري، دار طوق النجاة -بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.

أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1376هـ -1957م.

أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطيّة الأندلسي (ت: 546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ -2001م.

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، 1407هـ -1987.

أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، 2011م.

جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1427هـ - 2006م.

حسن العطار (ت: 1250هـ)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية – بيروت.

حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء: دراسة بلاغية جمالية نقدية، اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2005م.

خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير: جمعاً ودراسةً، دار ابن عفان – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1421هـ.

الخطيب القزويني (ت: 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني – بيروت، الطبعة: السادسة، 1405هـ - 1985م.

السيد أحمد الهاشمي (ت: 1362هـ)، جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية - بيروت، 1999م.

شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، التبيان في أقسام القرآن، صححه وعلّق على هوامشه: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، 1933م.

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المصري المشهور بالقرافي (ت: 684هـ)، نفائس الأصول في شرح المحصول، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م.

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المصري المشهور بالقرافي (ت: 684هـ)، كتاب الفروق المسمى ب أنوار البروق في أنواء الفروق، عالم الكتب – بيروت، د ت.

عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَه الميداني (ت: 1425هـ)، البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.

عبد العزيز عتيق (ت: 1396 هـ)، علم المعاني، دار النهضة العربية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.

مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان – بيروت، الطبعة: الثانية، 1984م.

مجمع اللغة العربية بمصر، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية – القاهرة، الطبعة: الرابعة، 1425هـ - 2004م.

مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة، 1424هـ - 2003م.

محمد أبو زهرة (ت:1394هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي – القاهرة، 2016، ت ت.

محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر – بيروت، 1415هـ - 1995م.

يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت: 745هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ.

الأبحاث العلمية:

سامي عطا حسن، أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – الكويت، المجلد: 18، العدد: 53، 2003م.

المواقع الإلكترونية:

أحمد عيد عبد الفتاح حسن، "لعل" في كلام الله تعالى https://www.alukah.net/sharia/0/36984

The meaning of Reporting and Informing in Qur'an, An Analytic Study

(Extended Abstract)

The science of reporting sentence (Khabar) and informing proposition (In'sha) is one of the most important sciences in the origins of interpretation. The importance of which lies in knowing some of the methods of the Qur'an which detect the intended meanings, real or aphorical, linguistic and idiomatic differences, significances and intellects, So, no one can ever interpret Quran without complete acknowledgment of this science. This study with induction of the texts, is to prove what was mentioned whether reporting (Khabar) or informing (In'sha) of their essence, divisions, connotations and meanings in the form of rules, by extracting these rules from the books of the foundations of the Qur'anic sciences, interpretation, jurisprudence, hadith, linguistic and rationality, collecting the scattered parts of the right, authenticating what the ancients wrote, explaining the closed in it, correcting what was wrong in the saying Or transfer, abbreviating and complementing to a deficiency and a mixed rank. Thus what this study did in a brief and accurate manner.